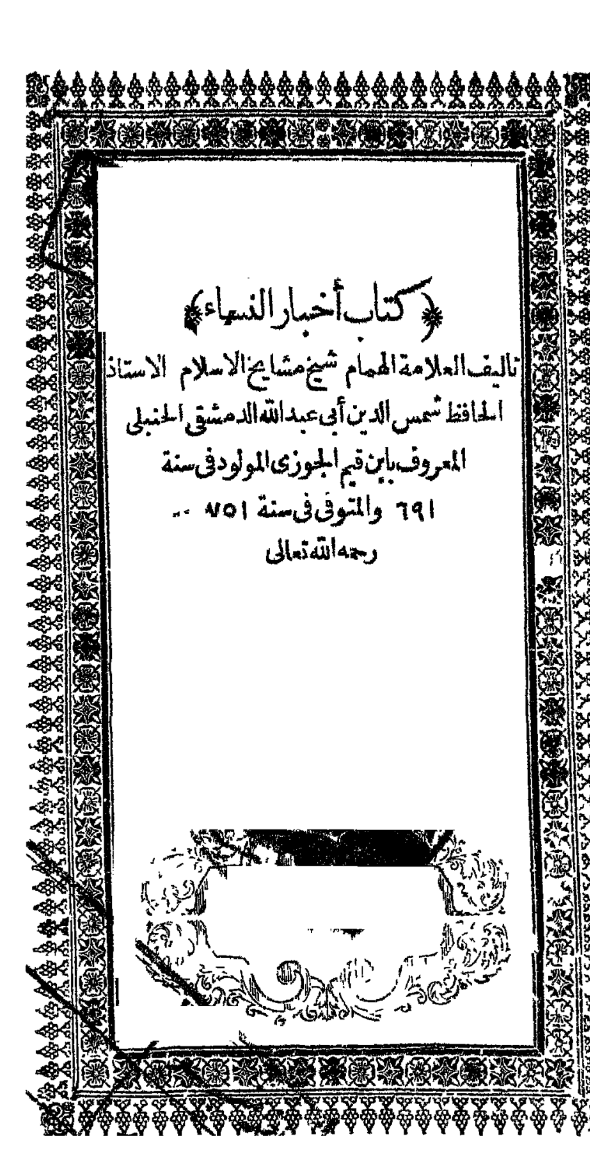
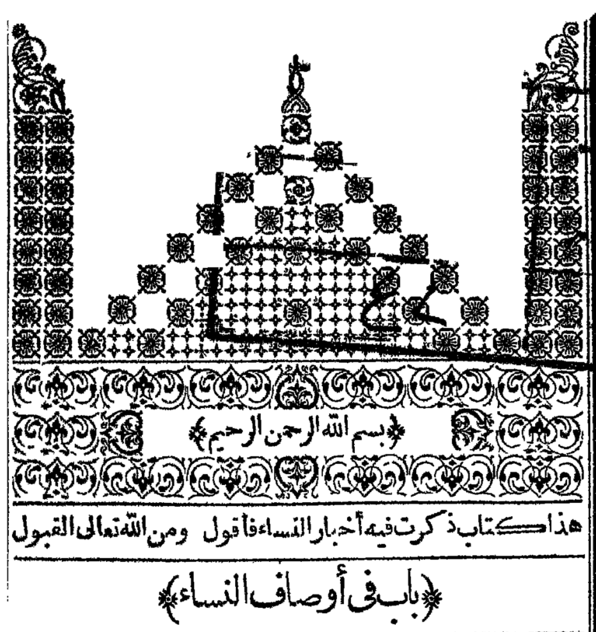


كتاب أخبار النساء

تاليف العلامة الهمام شيخ مشايخ الاسلام الاستاذ
الحافظ شمس الدين أبي عبد الله الدمشقي الحنبلي
المعروف بابن قيم الجوزي المولود في سنة
٦٩١ والمتوفى في سنة ٧٥١ هـ
رحمه الله تعالى



هذا كتاب ذكرت فيه أخبار النساء فأقول ومن الله تعالى القبول

باب في أوصاف النساء

قال معاوية لصعصعة أي النساء أحب اليك قال الموانبة لك فيما تهوى قال فأين أبغض اليك قال أبعدهن لما ترضى قال معاوية هذا النقد العاجل فقال صعصعة بالميزان العادل (وقال معاوية) ما رأيت نهما في النساء الا عرف ذلك في وجهها (شكت) امرأة الى زوجها قلة اتيانه اليها فقال لها أنا وأنت على قضاء عمر قالت ما قضى عمر قال قضى عمر أن الرجل اذا أتى امرأته في كل طهر فقد أدى حقها (وقع) بين امرأة وزوجها شر فجعل يكثر عليها بالجماع فقالت له أبعدك الله كلما وقع بيننا شر جئتني بشفيع لا أطيق رده جاء رجل الى علي رضي الله عنه فقال له ان لي امرأة كلما غشيتها تقول قتلتني فقال اقتلها وعلي اثمها (غزا) ابن هبيرة الغساني الحرث بن عمر فلم يصبه في منزله فاخرج ما وجد له واستاق

امرأته فاصابها فى الطريق وكانت من الجمال فى نهاية فاعجبت به فقالت له انج فوالله لكأنى به يتبعك كأنه بعير أكل مرارا فبلغ الخبر ...
فاقبل يتبعه حتى لحقه فقتله وأخذ ما كان معه وأخذ امرأته فقال لها هل أصابك فقالت نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط فلطمها ثم أمر بها فوثقت بين فرسين ثم أحضرهما حتى تقطعت ثم أنشد

كل أنثى وان بدا لك منها * آية الود حبها خيتعور

ان من غره النساء بود * بعد هذا الجاهل مغرور

قال بعض الحكماء لم تنه قط امرأة عن شئ الا فعلته للغنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لا بد مفعول

﴿غيره﴾

لا تأمن الانثى حبتك بودها * ان النساء ودادهن مقسم

اليوم عندك دلها وحديثها * وغدا لغيرك كفها والمعصم

(سئل) أعرابى عن النساء وكان ذا هم بهن فقال أفضل النساء أطولهن اذا قامت وأعظمهن اذا قعدت وأصدقهن اذا قالت التى اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيأ جودت التى تطيع زوجها وتلزم بيتها العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها الودود الولود التى كل أمرها محمود (طلق) رجل امرأته فقالت له أبعد صحبة خمسين سنة قال مالك عندنا ذنب غيره (قال عبد الملك بن مروان) من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد للولد فليتخذها فارسية ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية (قال الاصمعى) بنات العم أصبر والغرائب أنجب وما ضرب رؤس الابطال كابن عجمية (ذكر) ان معاوية بن أبى سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق وكان ...س مفتح الجوانب لدخول النسيم فبينما هو على فراشه وأهل مملكته ...ه اذ نظر الى رجل يمشى نحوه وهو يسرع فى مشيته راجلا حافيا ... اليوم شديد الحر فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه لم يخلق الله من

احتاج الى نفسه في مثل هذا اليوم ثم قال يا غلام سر اليه واكشف عن
حاله وقصته فوالله لئن كان فقيرا لأغنينه ولئن كان شاكيا لانصفنه
ولئن كان مظلوما لأنصرنه ولئن كان غنيا لافقرنه فخرج اليه الرسول
متلقيا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال له ممن الرجل قال سيدى أنا رجل
اعرابى من بنى عذرة أقبلت الى أمير المؤمنين مشتكيا اليه بظلامة نزلت
بى من بعض عماله فقال له الرسول أصبت يا اعرابى ثم سار به حتى وقف
بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثم أنشأ يقول

معاوى ياذا العلم والحلم والفضل * وياذا الندى والجود والنائل الجزل
أتيتك لما ضاق فى الارض مذهبى * فياغيث لا تقطع رجائى من العدل
وجدلى بانصاف من الجائر الذى * شوانى شيئا كان أيسره قتلى
سبانى سعدى وانبرى لخصومتى * وجار ولم يعدل وأغصبنى أهلى
قصدت لارجو نفعه فاثابنى * بسجن وأنواع العذاب مع الكبل
وهم بقتلى غير ان منيتى * تأبت ولم أستكمل الرزق من أجلى
أغثنى جزاك الله عنى جنة * فقد طار من وجد بسعدى لها عقلى

فلما فرغ من شعره قال له معاوية يا اعرابى انى أراك تشتكى عاملا من
عمالنا ولم تسمه لنا قال أصلح الله أمير المؤمنين هو والله ابن عمك مروان
ابن الحكم عامل المدينة قال معاوية وما قصتك معه يا اعرابى قال أصلح
الله الامير كانت لى بنت عم خطبتها الى أبيها فزوجنى منها وكنت كلفا بها
لما كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة فبقيت معها يا أمير المؤمنين
فى أصلح حال وأنعم بال مسرورا زمانا قرير العين وكانت لى صرمة من
ابل وشويهات فكنت أعولها ونفسى بها فدارت عليها أقضية الله
وحوادث الدهر فوقع فيها داء فذهبت بقدرة الله فبقيت لا أملك شيئا
وصرت مهينا مفكرا قد ذهب عقلى وساءت حالى وصرت ثقلا على وجه
الارض فلما بلغ ذلك أباها حال بينى وبينها وأنكرنى وجحدنى وطردنى
ودفعها عنى فلم أقدر لنفسى بحيلة ولا نصرة فاتيت الى عاملك مروان بن

الحكم مشتكيا بعمى فبعث اليه فلما وقف بين يديه قال له مروان يا ايها الرجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته قال أصلح الله الامير ليس له عندى زوجة ولا زوجته من ابنتى قط قالت أنا أصلح الله الامير أنا راض بالجارية فان رأى الامير ان يبعث اليها ويسمع منها ما تقول فبعث اليها فأتت الجارية مسرعة فلما وقفت بين يديه ونظر اليها والى حسنها وقعت منه موقع الاعجاب والاستحسان فصار لى يا أمير المؤمنين خصما وانتهرنى وأمر بى الى السجن فبقيت كأنى خررت من السماء فى مكان سحيق ثم قال لابيها بعدى هل لك ان تزوجها منى وأنقدك ألف دينار وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم تنتفع بها وأنا أضمن طلاقها قال له أبوها ان أنت فعلت ذلك زوجتها منك فلما كان من الغد بعث الىّ فلما ادخلت عليه نظر الىّ كالاسد الغضبان فقال لى يا اعرابى طلق سعدى قلت لا أفعل فامر بضربى ثم ردنى الى السجن فلما كان فى اليوم الثانى قال علىّ بالاعرابى فلما وقفت بين يديه قال طلق سعدى فقلت لا أفعل فسلط علىّ يا أمير المؤمنين خدامه فضربونى ضربا لا يقدر أحد على وصفه ثم أمر بى الى السجن فلما كان فى اليوم الثالث قال علىّ بالاعرابى فلما وقفت بين يديه قال علىّ بالسيف والنطع وأحضر السياف ثم قال يا اعرابى وجلالة ربى وكرامة والدى لئن لم تطلق سعدى لافرقن بين جسدك وموضع لسانك فخشيت على نفسى القتل فطلقتها طلقة واحدة على طلاق السنة ثم أمر بى الى السجن فحبسنى فيه حتى تمت عدتها ثم تزوجها فبنى بها ثم أطلقنى فاتيتك مستغيثا قد رجوت عدلك وانصافك فارحمنى يا أمير المؤمنين فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدنى الارق وأذابنى القلق وبقيت من حبها بلا عقل ثم انتحب حتى كادت نفسه تفيض ثم أنشأ يقول

فى القلب منى نار * والنار فيه الدمار
والجسم منى سقيم * فيه الطبيب يحار

والعين تهطل دمعا * فدمعها مدرار
حملت منه عظيما * فما اليه اصطبار
فليس ليلي ليل * ولا نهاري نهار
فارحم كئيبا حزينا * فؤاده مستطار
اردد على سعادى * يثيبك الجبار

ثم خر مغشيا عليه بين يدى أمير المؤمنين كأنه قد صعق به قال وكان في ذلك الوقت معاوية متكئا فلما نظر اليه قد خر بين يديه قام ثم جلس وقال انا لله وانا اليه راجعون اعتدى والله مروان بن الحكم ضرارا في حدود الدين واحسارا في حرم المسلمين ثم قال والله يا اعرابي لقد أتيتني بحديث ما سمعت بمثله ثم قال يا غلام على بدواة وقرطاس فكتب الى مروان أما بعد فانه بلغني عنك انك اعتديت على رعيتك في بعض حدود الدين وانتهكت حرمة لرجل من المسلمين وانما ينبغي لمن كان واليا على كورة أو اقليم ان يغض بصره وشهواته ويزجر نفسه عن لذاته وانما الوالى كالراعي لغنمه فاذا رفق بها بقيت معه واذا كان لها ذئبا فن يحوطها بعده ثم كتب بهذه الابيات

وليت ويحك أمرا لست تحكمه * فاستغفر الله من فعل امرئ زانى
قد كنت عندى ذا عقل وذا أدب * مع القراطيس تمثالا وفرقان
حتى أتانا الفتى العذرى منتحبا * يشكو اليناابيث ثم أحزان
أعطى الاله يمينا لا أكفرها * حقا وأبرأ من ديني ودياني
ان أنت خالفتني فيما كتبت به * لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وعجلها مجهزة * مع الكميت ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بلغت في بشر * ولا كفعلك حقا فعل انسان
فاختر لنفسك اما أن تجود بها * أو ان تلاقى المنايا بين أكفان

ثم ختم الكتاب وقال على بنصر بن ذبيان والكميت صاحبي البريد فلما وقفا بين يديه قال اخرجا بهذا الكتاب الى مروان بن الحكم ولا تضعاه

الا بيده قال فخرجا بالكتاب حتى ورد ابه عليه فسلما ثم ناولاه الكتاب فجعل مروان يقرأه ويردده ثم قام ودخل على سعدى وهو باك فلما نظرت اليه قالت له سيدى ما الذى يبكيك قال كتاب أمير المؤمنين ورد على فى أمرك يأمرنى فيه ان أطلقك وأجهزك وأبعث بك اليه وكنت أود أن يتركنى معك حولين ثم يقتلنى فكان ذلك أحب الى فطلقها وجهزها ثم كتب الى معاوية بهذه الابيات

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد * أوفى بنذرك فى رفق واحسان
وما ركبت حراما حين أعجبنى * فكيف أدعى باسم الخائن الزانى
اعذر فانك لو أبصرتها لجرت * منك الاماقى على أمثال انسان
فسوف يأتيك شمس لا يعادلها * عند الخليفة انس لا ولا جان
لولا الخليفة ما طلقتها أبدا * حتى أضمن فى لحد وأكفان
على سعاد سلام من فتى قلق * قد خلفته بأوصاب وأحزان

ثم دفعه اليهما ودفع الجارية على الصفة التى حدث له فلما وردا على معاوية فك كتابه وقرأ أبياته ثم قال والله لقد أحسن فى هذه الابيات ولقد أساء الى نفسه ثم أمر بالجارية فادخلت اليه فاذا بجارية رعبوبة لا تبقى لناظرها عقلا من حسنها وكمالها فعجب معاوية من حسنها ثم تحول الى جلسائه وقال والله ان هذه الجارية لكاملة الخلق فلئن كملت لها النعمة مع حسن الصفة لقد كملت النعمة لمالكها فاستنطقها فاذا هى أفصح لسان العرب ثم قال على بالاعرابى فلما وقف بين يديه قال له معاوية هل لك عنها من سلو وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار مع كل جارية منهن ألف درهم على كل واحدة منهن عشر خلع من الخز والديباج والحرير والكتان وأجرى عليك وعليهن ما يجرى على المسلمين وأجعل لك ولهن حظا من الصلات والنفقات فلما تم معاوية كلامه غشى على الاعرابى وشهق شهقة ظن معاوية انه قد مات منها فلما أفاق قال له معاوية ما بالك يا اعرابى قال شر بال وأسوأ حال أعوذ بعدلك يا أمير

المؤمنين من جور مروان ثم أنشأ يقول

لا تجعلني هداك الله من ملك * كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق * وأسعر القلب منه أي اسعار
والله والله لا أنسى محبتها * حتى أغيب في قبري وأحجاري
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها * وأصبح القلب عنها غير صبار
أطلق وثاقي ولا تبخل علي بها * فان فعلت فاني غير كفار
فاجمل بفضلك وافعل فعل ذي كرم * لا فعل غيرك فعل اللؤم والعار

ثم قال والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني كلما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى ولقد صدق مجنون بني عامر حيث يقول

أبى القلب الا حب ليلى وبغضت * الى نساء ما لهن ذنوب
وما هي الا ان أراها فجاءة * فابهت حتى لا أكاد أجيب

فلما فرغ من شعره قال له معاوية يا اعرابي قال نعم يا أمير المؤمنين قال انك مقر عندنا انك قد طلقتها وقد بانت منك ومن مروان ولكن نخيرها بيننا قال ذاك اليك يا أمير المؤمنين فتحول معاوية نحوها ثم قال لها يا سعدى أينا أحب اليك أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره أو مروان في غصبه واعتدائه أو هذا الاعرابي في جوعه وأطماره فاشارت الجارية نحو ابن عمها الاعرابي ثم أنشأت تقول

هذا وان كان في جوع وأطمار * أعز عندي من أهلي ومن جاري
وصاحب التاج أو مروان عامله * وكل ذي درهم منهم ودينار

ثم قالت لست والله يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلته ولقد كانت لي معه صحبة جميلة وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء وعلى الشدة والرخاء وعلى العافية والبلاء وعلى القسم الذي كتب الله لي معه فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها في صدقات بيت المسلمين (قال أبو

الخطاب)

الخطاب) كان عندنا رجل أحدب فسقط في بئر فذهبت حدبته وصار آدر فدخل عليه جيرته يهنونه فقال الذي جاء شر من الذي مر *ذكر* اعرابي رجلا جميلا فقال والله لو أبصرته العيدان لتحركت أوتارها ولو رأته عاتق الخدر لطار خمارها وقال بعض الاعراب

ماذا تظن سليمى ان ألم بنا * مرجل الرأس ذو بردين مزاح
حلو فكاهته خز عمامته * في كفه من رقا ابليس مفتاح

ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من كلب فبعث عائشة رضي الله عنها تنظر اليها فقال لها كيف رأيتها قالت ما رأيت طائلا قال لقد رأيت طائلا ولقد رأيت خالا بخدها حتى اقشعرت كل شعرة فيك فقالت ما دونك ستر يا رسول الله *ويروى* عن حيان بن عمير انه قال دخلت على قتادة بن ملحان فمر رجل في أقصى الدار فرأيت صورته في وجه قتادة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح وجهه *وعن عون ابن عبد الله* أنه قال من كان في صورة حسنة ونسب وحسب ووسع عليه في الرزق كان من خلصاء الله *ويروى* عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل فان كانوا في القراءة سواء فاصبحهم وجها (وعن ابن عباس) انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر الى الوجه الحسن يجلو البصر والنظر الى الوجه القبيح يورث الكلح قال حابلان المغني دخلت دار هرون الرشيد فاذا أنا بجارية خماسية أحسن الناس وجها على يدها سطران مكتوبان بالغالية فقرأتهما فاذا هما عمل في طراز الله فتنة لعباد الله *وقال بعضهم* سمعت يحيى ابن سفيان يقول رأيت بمصر جارية بيعت بالف دينار فما رأيت وجها قط أحسن من وجهها صلى الله عليها قال فقلت له يا أبا زكريا مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك فقال وما تنكر علي من ذلك صلى الله عليها وعلى كل مليح يا ابن أخي الصلاة رحمة (قال) خرج شامة بن لؤي بن غالب من مكة حتى نزل بعمان على رجل من الاسد وكان شامة بن لؤي من أجمل

خلق الله فقراه وبات عنده فلما أصبح قعد يستن فنظرت اليه زوجة الاسدى فاعجبها فلما رمى مضت الى سواكه فاخذته فاقتصتها فنظر اليها زوجها فحلب ناقة وجعل فى اللبن سما وقدمه الى شامة فغمزته المرأة فاراق اللبن وخرج يسير فبينما هو فى موضع يقال له خرق الجلية أهوت ناقته فى عرفجة فانتشلتها وفيها أفعى فنهشت مشفرتها فحكتها على ساق شامة فمات فقالت الازد

اذا ناقتي حلت بليل ففارقت * جميلة لما انبت منها قرينها
فقلت لها حتى قليلا فانني * واياك نخفي عبرة ستزينها
غدرت بنا بعد الصفاء وخنتنا * وشر مصافي خلة من يخونها

(قال سليمان بن أبى سمح) تزوج رجل من تهامة امرأة من نجد فلما نقلها اليه قالت له ما فعلت ريح من نجد كانت تأتينا يقال لها الصبا ما رأيتها ههنا فقال يحجزها عنا هذان الجبلان فانشأت تقول

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست * على قلب محزون تجلت همومها
أجد بردها أو يشف منى حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها

(قال الزبير) حدثنى أبى قال كان عندنا بالمدينة رجل من قريش كانت له امرأة تعجبه ويحبها وكانت تحول بينه وبين طلب الرزق وكل ذلك يحتمله لشدة محبته اياها فلما ساءت حاله وكثر دينه قال

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه * شكى الفقر أو لام الصديق فاكثرا
وصار على الادنين كلا وأوشكت * قلوب ذوى القربى له ان تنكرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى * تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم * وكيف ينام الليل من كان معسرا
وما طالب الحاجات من حيث يبتغى * من الناس الا من أجد وشمرا

فلما أصبح قال لامرأته أنا والله أحبك ولا صبر لى على ما نحن فيه من ضيق العيش فجهزيني فجهزته فخرج حتى قدم على معاوية بن أبى سفيان رضى

الله عنه فقام بين الصفين فاخبره بحاله وأنشده الشعر فرق له وأمر له بالف دينار وقال له قد دلني حالك على محبتك لاهلك وكراهيتك لفراقهم فخذوا نصرف اليهم فاخذها وانصرف راجعا ﴿وأنشد﴾ الزبير بن بكار لجميل بن معمر

من كان في حب الحبيب حبيبه * حدود لقد حلت على حدود
ألا أيها الغيران في ان أحبها * بسخطك يبغى حبها ويزيد
فلو مت كان الموت يخاف الهوى * لها في فؤادي وجدوه وجديد
وتحسب نسوان اذا جئت زائرا * بثينة انى بعضهن أريد
فتخبركم عنا جنوب مضلة * وتخبرنا هتف العشى برود
اذا بلغتكم حاجة رجعت لنا * اليكم باخرى مثلها فيعود

وأنشد أيضا لجميل بن معمر العذرى

تمتعت منكم يا بثين بنظرة * على عجل والناعجات وقوف
فيا حبذا أم الوليد ومربع * لنا ولها بالمنحنى ومصيف
بثنتان يسترن الوشاح عليهما * وبطن كطى السابرى لطيف

وأنشداه في مثل ذلك أيضا

بثينة قالت يا جميل وسودت * مجال القذى منها بثينة بالكحل
أتصرم حبلي يا جميل وقادني * اليك الهوى قود الجنيبة بالحبل
وقالت لقينا ما لقيت من الهوى * فامس رأسي من دهان ولا غسل

(قال على بن المغيرة) كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل أخت الحجاج بن يوسف لابيه وأمها الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفى عند المغيرة بن شعبة فرآها يوما تتخلل بكرة فقال لها أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء لقد جشعت ونهمت وان كان من عشاء لقد أنتنت وقذرت فقالت قبح الله الذواق المطلاق ولا يبعد الله غيرك والله ما هو الذى ظننت ولكنه استمسك بين اسنانى شظية من السواك وكان سبب قول النميرى فيها ان أباها يوسف بن الحكم مرض فكان يزيد بن معاوية قد ولاه صدقات الطائف وأرض الشراه فنذرت ان الله عافاه ان تمشى

الى الكعبة معتمرة من الطائف و بين الطائف ومكة يومان وليلتان فشت ذلك فى اثنين وأربعين يوما وكانت جميلة وسيمة فلقيها النميرى وهو محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى ببطن نعمان فقال

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب فى نسوة عطرات
تهادين ما بين المحصب من منى * وأقبلن لا شعثا ولا غبرات
مررن بفج رائحات عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات
لها أرج بالعنبر الورد فاغم * تطلع رياه من الفترات
يخبين أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتمرات
ولبست كانحرى أوسعت جنب درعها * وأبدت بنان الكف للجمرات
ومالت ترا آى من بعيد فافتنت * برؤيتها من راح من عرفات
تقسمن لبى يوم نعمان اننى * بليت بطرف فاتك اللحظات
يظاهرن أستارا ودورا كثيرة * و يقطعن دون الدور بالحجرات
ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن من ان تلقينه حذرات
دعت نسوة شم العرانين كالدما * أوانس ملء العين كالظبيات
فايدين لما قمن يحجبن زينبا * بطونا الطاف الطى مضطمرات
فقلت يعافير الظباء تناولت * يناع غصون الورد مهتصرات
فلم ترعينى مثل ركب رأيته * خرجن من التنعيم معتمرات
وكدت اشتياقا نحوها وصبابة * تقطع نفسى اثرها حسرات
وغادرت من وجدى بزينب غمرة * من الحب ان الحب ذو غمرات
وظل صحابى يظهرون ملامتى * على لوعة الاشواق والزفرات
فراجعت نفسى والحفيظة انما * بلت رداء الغصب بالعبرات
وقد كان فى عصيانى النفس زاجر * لذى عبرة لو كن معتبرات

(قال مسلم بن جندب الهلالى) كنت مع عبد الله بن الزبير بنعمان وغلام ينشد خلفه وهو يشتمه أقبح الشتم فقلت له ما هذا فقال دعه فانى تشببت باخت هذا الحجاج بن يوسف فلما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير دعا الناس

للبيعة

للبيعة فتأخر محمد حتى قام فى آخر الناس ولم يجد من الحضور بدا فلما دنا
منه قال أمحمد قال نعم قال أنشدنى ما قلت فانشدته قصيدتى هذه فقال
لولا ان يقول قائل لضربت عنقك انج لا تجوت ولا تعد فقال لا تعرضت
لاسم زينب ما بقيت قال ولما خاف النميرى من الحجاج عاذ بابيه يوسف بن
الحكم فلما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير قام اليه يوسف بن
الحكم وقال له يا أمير المؤمنين ان فتى منا ذكر زينب عايذ كربه العربى
ابنة عمه وقد علمت ان هذا لم يزل يتقلب عليه قال عبد الملك أليس النميرى
قال بلى قد سمعت شعره فما سمعت مكروها ثم أقبل على الحجاج وقال
لا تعرض له ويقال ان عبد الملك لما بلغه شعر النميرى كتب الى الحجاج قد
بلغنى ما كان من قول النميرى فلا تدنه فتقطعه ولا تقصه فتغره
ولكن أهمله واله عنه فلم يهجه الحجاج ومن قوله فيها

تشتو بمكة نعمه * ومصيفها بالطائف
أكرم بتلك مواقفا * وبزينب من واقف

(ومن شعره فيها أيضا)

وما أنس من شئ فلا أنس شاديا * بمكة مكحولا أسيلا مدامعه
تشربه لون الزار فى بياضه * أو الزعفران خالط المسك أدرعه

(قال الزبير بن بكار) حكى الحسن بن على مولى بنى أمية قال خرجت الى
الشام فلما كنت بالسمهاة ودنا الليل رفع لى قصر فاهويت اليه فاذا أنا
بامرأة لم أر قط مثلها حسنا وجمالا فسلمت فردت على السلام قالت
ممن أنت قلت من بنى أمية قالت مرحبا بك انزل فأنا امرأة من أهلك
فأنزلتنى أحسن منزل وبت أحسن مبيت فلما أصبحت قالت ان لى
اليك حاجة قلت ماهى فأشارت الى دير وقالت ان فى ذلك الدير ابن عمى
وهو زوجى وقد غلبت عليه نصرانية فى ذلك الدير فتمضى اليه وتعظه
فخرجت حتى انتهيت الى الدير فاذا برجل فى فنائه من أحسن الرجال
وأجملهم فسلمت عليه فرد وسأل فاخبرته من أنا وأين بت وما قالت المرأة

فقال صدقت أنا رجل من أهلك من أهل الحرث بن الحكم ثم صاح يا قسطا فخرجت اليه نصرانية عليها ثياب حبرات وزنانير ما رأيت قبلها ولا بعدها أحسن منها فقال هذه قسطا وتلك أروى وأنا الذى أقول

وبدلت قسطا بعد أروى وحبها * كذلك لعمرى يذهب الحب بالحب
وما هى اماذكرها بنطيبه * كبدر الدجى أوفى على غصن رطب

(قال الزبير بن بكار) حدثنى عبد الملك بن عبد العزيز قال كانت بنت أبى عبيدة بن المنذر بن الزبير عند أبى بكر بن عبد الرحمن من مخرمه وكان يخدمها وكانت ذات مال ولا مال له وكانت تضن عنه فخرج يريد الشام يطلب الرزق فلما كان ببعض الطريق رجع فرّ بجلسائه بالمصلى فقالوا زاد خير ثم دخل عليها فقالت له أبخير رجعت فقال لها

بينما نحن من بلاكث فالقا * ع سراعا والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ * ـراك وهنا فما استطاع مضيا
قلت لبيك اذ دعانى لك الشو * ق وللحاديين حث المطيا

فقالت له لا جرم والله لا شاطرنك مالى فشاطرته اياه ولم تدعه للسفر بعد (ابراهيم بن حسن بن يزيد) عن شيخ من ساكنى العقيق قال انى لواقف بالعقيق وقد جاء الحاج اذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة فنظرنا اليها فأعجبنا حالها فلما كانت حذاء قصر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز ابن مروان عدلت الينا ونحن ننظر فنزلت ودخلت قصرا من تلك القصور فأقامت فيه ساعة ثم خرجت فركبت ومضت وان عينيها لينطفان دموعا فقلت لانظر ماصنعت هذه المرأة فدخلت القصر فاذا كتاب يواجهنى فى الجدار فقرأته فاذا هو

أليس كفى حزنا لذى الشوق ان يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا
بلى ان ذا الشوق الموكل بالهوى * يزيد اشتياقا كلما حاول الصبرا

وتحته مكتوب وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز وكان سفيان بن عاصم زوجها فتوفى عنها (ذكروا) عن عائشة رضى الله عنها انها لما قدمت

البصرة خطبت وبحضرتها الاحنف بن قيس وموسى بن طلحة ورجال
من وجوه العرب فقالت بعقب ذلك انى أتيت أطلب بدم الامام المذكور
برمته الحرمات الاربع فمن ردنا عنه بحق قبلناه ومن ردنا عنه بباطل
قاتلناه فربما نصر الظالم على المظلوم والعاقبة للمتقين قال لها موسى بن
طلحة قد فهمنا كلامك فما الاربع حرمات فقالت حرمة الشهر وحرمة
البلد وحرمة الامامة وحرمة الختونة لا يصلح أمر ابعده أبدا فقال
لها الاحنف رحمه الله انى سائلك ومغلظ لك فى المسئلة فلا تجدين على
أعندك عهد من رسول الله فى خروجك هذا قالت لا قال لها أفعندك
عهد من رسول الله انك معصومة من الخطا قالت لا قال لها صدقت ان
الله رضى لك المدينة فأبيت الا البصرة وأمرك بلزوم بيت نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم فتركت بيت الحرسة الضبى ألا تخبريني يا أم المؤمنين ألتحرب
قدمت أم للصلح قالت بل للصلح فقال لها والله لوقدمت بينهم الا الخفق
بالنعال والقذف بالحصباء ما اصطلحوا على يديك فكيف والسيوف على
عواتقهم قالت لقد استغرق حكم الاحنف هجاه اياى الى الله أشكو
عقوق أبنائى (ذكروا) انه لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث وأسر من
معه أمر بضرب رقابهم فقال رجل منهم أيها الامير انى أتيت اليك بشئ
قال وما هو قال انى كنت جالسا يوما عند عبد الرحمن فأخذ فى عرضك
فناضلته عنك قال ومن يشهد لك بذلك فقام رجل من الجماعة يشهد له
بما قال فقال اتركوه ثم قال للرجل أفلا كنت مثله قال له بغضى فيك لم
يدعنى أتكلم فيك بمثل ذلك فقال واتركوا هذا الصدقه ثم قام رجل آخر
فقال أيها الامير لئن كنا أسأنا فى الخطا لما أحسنت فى العفو فقال الحجاج
أف لهذه الجيف أما والله لو كان فيكم من يتكلم والله ما قتل منكم أحد

﴿باب يذكر فيه من صيره العشق الى الاختلاط والجنون﴾

(قال بعضهم) مررت بفورك المجنون وقد أتاه أهله بطبيب يقال له عبد
العزيز ليعالجه فسلمت وقلت ما خبرك يا أبا محمد فقال خبرى والله مع

هؤلاء المجانين ظريف أنا عاشق وهم يظنون فى جنة وقد أتونى بهذ الطبيب ليعالجنى ثم أنشأ يقول

أتونى بالطبيب فعالجونى * على ان قيل مجنون غريب
طبيب الاجر فيه عساه يوما * من الايام يعقل أو يتوب
وما صدقوا الفتى محبوبه قلبى * أجل من ان يعالجه الطبيب
ومابى جنة لكن قلبى * به داء تموت به القلوب
وماعبد العزيز طبيب قلبى * ولكن الطبيب هو الحبيب

وقال آخر مررت بمجنون بيده قصبة وفيها عذبة وهو يقول

اذا ماراية رفعت بمجد * تلقاها عراية باليمين

قال فأخذت بيد الغلام الذى كان يتعشقه فوقفت بين يديه فقال له كيف أصبحت ياأبا عبد الله فقال فى ساعة بديهة

أصبحت منك على شفا جرف * متعرضا لموارد التلف
وأراك نحوى غير مائلة * منحرفا عن غير منحرف
يامن أطال بصده أسفى * كلفى عليك أشد من أسف

(وقال بعضهم) اجتزت بفورك المجنون وهو فى جماعة من الصبيان راكب قصبة وهو يقول من كان عاشقا منكم فليقف فى الميمنة ومن كان معشوقا فليقف فى الميسرة ووقف هو فى القلب ففكر وقال

الى من أشتكيك الى من * الى كم ترى فى قصتى غير محسن
الى كم يدوم الهجر والعتب بيننا * سألتك بالرحمن الارحمتنى
فيالائمى فى أحمد لو رأيته * لما لمتنى فى حبه وعذرتنى
أتعجب ان قالوا بفورك جنة * بنفسى ومالى من هواه أجننى

ثم قال احملوا على بركة الله فحملت الميمنة على الميسرة وأخذ كل عاشق معشوقه (قال) ولقيته فى يوم خميس فى جماعة من الصبيان منصرفا من تشييع غلام كان يحبه وهو يحدثهم و يلطم خده و يقول ما أحر الفراق فقلت ياأبا محمد من أين أقبلت قال من تشييع الحاج و بكى وقال

هم رحلوا يوم الخميس عشية * فودعتهم لما استقلوا و ودعوا
فلما تولوا ولت النفس معهم * فقلت ارجعي قالت الى أين أرجع
الى جسد ما فيه لحم ولا دم * ولا فيه الا أعظم تتقعقع
وكذبت فيك الطرف والطرف صادق * وأسمعت أذني فيك ما ليس أسمع

قال الحسن بن رفاعة رأيت علوية المجنون يوما وفي عنقه حبل والصبيان يجرونه فلما رآني قال يا أبا علي عاذا يعذب الله أهل الجرائم يوم القيامة قلت بأشد العذاب قال فانا والله في أشد من عذابه ولو عذب الله أهل جهنم بالحب والهجر والرقباء لكان أشد عليهم ثم قال

انظر الى ما صنع الحب * لم يبق لي جسم ولا قلب
أنحل جسمي حب من لم يزل * من شأنه الهجران والعتب
ما كان أغناني عن حب من * من دونه الاستار والحجب

قال وحضرته وقد أتوه بطبيب يعالجه والطبيب يعاتبه ويقول له لو تركتني لعالجتك ورجوت أن تبرأ فقال في ذلك

أنا منك أعلم أيها المتكلم * مابي أجل من الجنون وأعظم
أنا عاشق فان استطعت لعاشق * برأ منت به وأنت محكم
هيهات أنت لغير مابي عالم * وسواك بالداء الذي بي أعلم
داء دسيس قد تضمنه الهوى * تحت الجوانح ناره تتضرم

قال ومررت ببعض المجانين وهو جالس وحده متفكرا فقلت ما خبرك فقال

أقول بأعلى الصوت مابي جنة * ومابي الا حب من ليس ينصف
ومابي جنون غير أن بليتي * اذا انكشفت منه أرق وألطف
بنفسي وأهلي من أرى الموت جهرة * اذا ما بدا منه البنان المطرف

قال وكان فورك يتعشق غلاما يسمى غلبا فاتاه بعض اخوانه فقال اني خارج نحو غلب فهل من حاجة فقال

نعم أوصيك ان أبصرت غلبا * فقبل وجنتيه وان تأبى

وقل هذى وصية مستهام * اليك قتلته شغفا وحبا

(ودخل) مهدى على بعض ولاة اليمامة فسأله الوالى عن مجالسه مع ظبية واستنشده ماقال فيها من الشعر وكان ابن ظبية حاضرا فانشده مهدى بيتين يصفها فيهما بالعفاف فقام ابنها فنزع عن نفسه جبة خز ووشاحا وألقاهما على مهدى لما وصف أمه بالعفاف (قال أحمد بن يحيى) كان القيطنون متملكا على أهل المدينة وكان قد سامهم خسفا وشرط عليهم أنه لاتدخل امرأة على زوجها حتى يبدأ بها فتزوج مالك ابن عجلان الخزرجى أخته فلما جهزها وأراد اهداءها الى زوجها وهو قاعد فى مجلس الخزرج اذ خرجت أخته على الحى سافرة فغضب مالك ووثب اليها ليتناولها بالسيف وقال لها فضحتينى ونكست رأسى وأغضضت بصرى فقالت له الذى تريد بى أنت شر من هذا وأقبح وأفضح ان كنت تهدينى الى غير بعلى فيصيبنى فهذا شر من خروجى سافرة حاسرة فقال مالك صدقت وأبيك وسكت عنها فلما رجعت الى خدرها دخل اليها فقال لها هل فيك من خير فقالت فأى خير عند امرأة الا أن تنالك فقال لها اكتمى ما أريده قالت نعم فشرح لها ما عزم عليه فلما أمست أتتها رسل القيطنون ليأتوه بها فلبست وتعطرت وتحلت ولبس معها وتعطر واشتمل على السيف ومضى معها فى جملة نسائها الى قصر القيطنون فلما خلا بها فى مشربة له ودنا منها تنحى نساؤها عنها الا مالك وحده فقالت للقيطنون بحق التوراة الا أمهلتنى ساعة حتى ترجع نفسى فيها الى وتركت أختى هذه تؤانسنى عندك فانى ألفتها من بين أهلى فقال نعم فلما هدأت ساعة قال تقدمى الى فراشك حتى ألحقك فقام القيطنون الى باب مشربته فاغلقه وأتى فراشه وكشف مالك عن السيف ثم ضربه به حتى برد فاجتمع الحيان من الاوس والخزرج فسودوه على أنفسهم وملكوه اذ اراحهم من عار الدهر وذلت اليهود بعد ذلك فلم ترفع رأسا (قال الزبير بن بكار) كان عبد الرحمن بن أبى عمار من عباد أهل مكة فسمى القس من عبادته فمر

ذات يوم بدار سهل بن عبد الرحمن بن عوف مولى سلامة الزرقاء وهى تغنى فسمع غناءها فبلغ منه كل مبلغ فرآه مولاها وتبين ما لحقه فقال له هل لك أن تدخل اليها وتسمع منها فامتنع وأبى فقال له أنا أقعدك فى موضع تسمع من غنائها ولا تراها ولا تراك ولم يزل به حتى دخل وسمع غناءها فأعجبه فقال له هل لك أن أخرجها لك فامتنع بعض الامتناع ثم أجابه فأخرجها اليه وأقعدها بين يديه وغنته فشغف بها وشغفت به وكان أديبا ظريفا واشتهر أمره معها بمكة حتى سموها سلامة القس وخلا معها يوما فقالت له أنا والله أحبك فقال لها وأنا والله كذلك قالت له أحب أن أضع فمك على فى قال وأنا والله قالت فما يمنعك من ذلك فوالله ان الموضع لخال فقال لها ويحك انى سمعت الله عز وجل يقول فى كتابه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وأنا أكره أن تكون خلة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة ثم نهض وعيناه تذرفان من حبها وعاد الى الطريقة التى كان عليها من النسك والعبادة وكان يمر فى بعض الايام ببابها فيرسل اليها بالسلام فيقال له ادخل فيأبى وقال فيها أشعارا كثيرة وغنته بها فمنها

ان التى طرقتك بين ركائب * تمشى بمزهرها وأنت حرام

باتت تعللنا وتحسب اننا * فى ذاك أيقاظ ونحن نيام

حتى اذا سطع الصباح لناظر * فاذا الذى ما بيننا أحلام

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب بما تأتى به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم انما * طرق الضلالة والهدى أقسام

﴿ومنها قوله﴾

على سلامة القلب السلام * تحية من زيارته لمام

أحب لقاءها وألوم نفسى * كأن لقاءها شئ حرام

اذا ما حن مزهرها اليها * وحنت نحوه أذن الكرام

فدوا نحوها الاعناق حتى * كأنهم وما ناموا نيام

وله فيها أشعار كثيرة تركت ذكرها ههنا الا انها مستقصاة من أخبارها في كتاب طبقات المغنين (قال) وفدت عزة وبثينة على عبد الملك بن مروان فلما دخلتا عليه انحرف الى عزة وقال لها أنت عزة كثير قالت لست لكثير بعزة ولكني أم بكر الضمرية قال أتروين قول كثير فيك

لقد زعمت اني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

تغير جسمي والخليقة كالتي * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت لست أروي هذا ولكني أروي غيره حيث يقول

كأني أنادي صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

ثم عطف على بثينة فقال لها ما رأى جميل حين لهج بذكرك بين النساء كلهن قالت الذي رأى فيك الناس حين جعلوك خليفة من بين رجال العالمين فضحك حتى بدت سن له سوداء كان يخفيها وأجزل جائزتهما وقضى حوائجهما (وقال محمد بن يحيى المدني) سمعت عطاء يقول كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولا كاملا يفرح ان رأى من رآها وان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار فاليوم يشير اليها وتشير اليه فاذا التقيا لم يشكوا حبا ولم ينشدا شعرا وقام اليها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وأصحابه (وحكى أبو الحسن المدايني) قال هوى بعض المسلمين جارية بمكة فارادها فامتنعت عليه فانشدها

سألت الفتى المكي هل في تزاور * وقبلة مشتاق الفؤاد جناح

فقال معاذ الله أن يذهب الهوى * تلاصق أكباد بهن جراح

فقالت له بالله انك سمعته وسألته فاجابك بهذا الجواب قال نعم فزارته وجعلت تقول اياك أن تتعدى ما أمرك به عطاء (وروى) عبد الرحمن بن نافع ان أبا هريرة سئل عن قول الله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فقال هي النظرة والغمزة والقبلة وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب مرة ثم لا يعود وباسناد عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن رجلا جاء اليه فقال له انى أخذت امرأة فى البستان فاصبت منها كل شئ الا انى لم أنكحها فاصنع ماشئت فسكت عنه صلى الله عليه وسلم فلما ذهب دعاه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت الآية ﴿قيل لاعرابى﴾ ماكنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى قال كنت أمتع عينى من وجهها وقلبى من حديثها وأستر منها مالا يحبه الله ولا يرضى بكشفه الا عند حله قيل فان خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك قال أكل قلبى الى حبها ولا أصير بقبيح ذلك الفعل الى نقض عهدها ﴿ويروى﴾ عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل طالبته ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ماتسر يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ﴿وعن عبد الملك بن قريب الاصمعى﴾ قال بصرت الزباء بعمر بن أبى ربيعة وهو يطوف بالبيت فتنكرت له وفى كفها خلوق فمسحته بثوبه فقال

أدخل الله رب موسى وعيسى * جنة الخلد من ملانى خلوقا

مسحت كفها بجيب قميصى * حين طفنا بالبيت مسحا رفيقا

لو تجازى القلوب بالود أمسى * قلبها مائلا الينا شفيقا

فنظر اليه عبد الله بن عمر فى تلك الحالة ينشد الابيات فقال ماهذا زى المحرم ومايحل للمحرم ان يقول مثل هذا القول فى هذا الموضع فقال ياأبا عبد الرحمن قد سمعت منى ماسمعت فورب هذه البنية ماحللت ازارى على حرام قط ﴿قال الهيثم بن عدى﴾ دخلت ليلى بنت عبد الله الاخيلية على الحجاج وعنده وجوه الناس وأشرافهم فاستأذنته فى الانشاد فاذن لها فانشدته قصيدة مدحته بها فلما فرغت من انشادها قال الحجاج لجلسائه أتدرون من هذه الجارية قالوا لا نعلم أصلح الله الامير

ولكنا لم نر امرأة أكمل منها كمالا ولا أجمل منهاجمالا ولا أطلق لسانا ولا أبين بيانا فمن هى قال هذه ليلى الاخيلية صاحبة توبة بن الحمير الذى يقول فيها

نأتك بليلى دارها لا تزورها * وشطت نواها واستمر مريرها

ثم قال لها باليلى ما الذى رابه من سفورك حيث يقول

وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت * فقد رابنى منها الغداة سفورها

قالت أصلح الله الامير لم يرنى قط الا متبرقعة وكان أرسل الى رسولا انه يلم بنا ففطن الحى لرسوله فاعدوا له وكمنوا وفطنت لذلك فلم يلبث ان جاء فالقيت برقعى وسفرت له فلما رأى ذلك أنكره وعرف الشر فلم يزد أن سلم على وسأل عن حالى وانصرف راجعا فقال الحجاج لها الله درك فهل كانت بينكما ريبة قالت لا والذى أسأله أن يصلحك الا انه قال مرة قولا ظننت انه خضع لبعض الامر فقلت له مسرعة هذا الشعر وأنشأت وهى تقول

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغى ان نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

فلا والذى أسأله صلاحك ما كلمنى بشئ بعدها استريبته حتى فرق الدهر بينى وبينه (قال أبو عثمان قد ترى الاعرابى وظاهره ظاهر الجفاء فما هو الا أن يعشق حتى تجده أرق من الماء وألطف من الهواء ومع ذلك يلقى أحدهم عشيقته فيترشفها ويعانقها من دون الثياب ويمنعه التكرم ويحجزه الورع عن وطئها وان أمكنته قال ابن هرمة

ولرب لذة ليلة قد نلتها * وحرامها بحلالها مدفوع

ويقتصرون على الحديث والقبل واللمس (قال العتبى) قيل لبعض الاعراب ما الذى ينال أحدكم من عشيقته اذا خلا بها قال اللمس والقبل والحديث قال فهل يطؤها قال بابى أنت وأمى ليس هذا عاشقا هذا طالب ولد (قال) وكان الشرط بين العاشق ومعشوقه اذا خلوا ان يكون له نصفها الاعلى من سرتها الى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء ولبعلها

من سرتها الى أخمصها وأنشد ابن الاعرابى فى مثل ذلك

فللنذل شطر مطلق من عقاله * وللبعل شطر ما يرام منيع

وأنشد عمرو بن العلاء فى نحوه

لها نصفان من حل وبل * ونصف كالبحيرة ما يهاج

يقول نصفها الاعلى لعشيقها طلق ونصفها الآخر عليه كالبحيرة فانها كانت فى الجاهلية حراما لاتهاج ولاتركب ولاتمنع من كلأ ولا ماء وأنشد الاصمعى لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته

فهل لك فى البدال أبا زنيم * وأقنع بالاكارع والعجوب

قال ابراهيم بن بشار النظام قد يمكن الرجل ان يحتجر عن ذلك مادام ليس له هنالك الا الحديث والقبلة فاما اذا ترشفها وعانقها من دون ثيابها فلا بد ان ينعظ وينشط واذا أنعظ وهو فى الازار معها انتقض العزم كما قال عبد الرحمن بن أم الحكم

وكأس ترى بين الاناء وبينها * قذى العين قد نازعت أم أبان

ترى شاربيها حين يعتورانها * يميلان أحيانا ويعتدلان

فباطن ذا الواشى بأبيض ماجد * وبيضاء خود حين يلتقيان

دعتنى أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان

دعتنى أخاها بعدما كان بيننا * من الامر مالا يفعل الاخوان

(وقد ذكرنا) ان أهل طبرستان لا تتزوج الجارية منهم حتى يستظهر بها حولا كاملا محرما ثم يقدم بها فيخطبها الى أهلها ثم يتزوج بها ويزعمون مع ذلك انهم يجدونها بكرا وقد عانقها فى ازار واحد سنة تامة وهو لا يستظهر بها ويحتمل وحشة الاغتراب وانقطاع الاسباب الا من عشق غالب ولا يجوز ان تواتيه الجارية الا وبها شبه الذى به وان من عجب العجب ان يمكثا متعانقين فى لحاف واحد ثم يحتجران عن الزنا تكرما وتحرجا وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب * ومن قول سهيل بن هرون ثلاثة من المجانين وان كانوا عقلاء الغضبان

والعزبان والسكران فقال له أبو عبد الله الخليع والمنعظ يا أبا عمرو فقال والمنعظ وضحك وأنشد

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

﴿قال الاصمعى﴾ كان فتى من ثقيف شديد الحياء كريما أديبا فبيناهو جالس اذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتمالك ان قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هى وأين تريد وقد كلف بها واشتد عشقه لها فاتبعها حتى دخلت منزل أخيه فاذا هى امرأته فضاق به الامر ولم يدر ما يصنع وكتم شأنه وجعل ما به يزداد كل يوم حتى نحل جسمه فانكر شأنه أخوه وأهله وسألوه عما به فلم يخبرهم بشئ من أمره فدعا أخوه الاطباء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيأ فلما أعياهم ما به وزاد سقمه حمله أخوه الى الحرث بن كلدة وكان من أطباء العرب فنظر اليه الحرث فلم ير به داء ينكر غير انه ظن انه عاشق نحلا به الحرث فساله فابى أن يقر له بشئ فلما أعيا الحرث جعل يسأل عن أسمائهم وأسماء نسائهم والفتى ملقى بين يديه كلما سمعت امرأة منهم نظر الحرث وجه المريض حتى جاء اسم امرأة أخيه فارتاح وتنفس واغرورقت عيناه بالدموع فعلم الحرث أمره وقال لاخيه اذهب فجئنى بجميع أهليكم ولا يتخلف عنى أحد منهم امرأة ولا رجلا فانى قد وقعت على دائه فخرج أخوه حتى أتى أهله فجمعهم فى منزل ونقل الحرث المريض اليهم وقال لا يغيبن عنه منكم امرأة ولا رجل فلما نظر الرجل الى امرأة أخيه خف عنه بعض ما كان يجده فعرف الحرث ذلك منه فامر بشاة فذبحت وأخرج كبدها فوضعها على النار ثم أطعمه منها فاكل ثم مزج له شربة خفيفة فسقاه وفعل ذلك به أياما يزيده فى كل يوم شيأ قليلا فى مطعمه ومشربه فحسنت حاله ورجع اليه بعض جسمه فلما رأى الحرث انه قوى بعض القوة صنع له طعاما وهيأ له شرابا ثم أحضر الفتى وأخاه فطعما وشربا وأمر الحرث أخاه أن ينصرف وقام هو ووكل هو بالفتى من يسقيه ويغنيه وقال احفظ حديثه وكل ما يتكلم

به وحدثه كل حديث تعرفه فى العشق وأخبار العشاق وأشعارهم فلما
أخذ الشراب فى الفتى تغنى

أهل ودى ألا اسلموا * وقفوا كى تكلموا
أخذ الحى حظهم * من فؤادى وأنتم
فهمومى كثيرة * وفؤادى متيم
وأخو الحب جسمه * أبد الدهر يسقم

فلما أصبح الحرث دعا الموكل بالفتى فسأله فعرفه بكل شئ تحدثه وأنشد
الابيات التى تغنى بها فدعا أخاه فعرّفه أنه عاشق لامرأته فقال له يا أخى
أنا أنزل لك عنها وتتزوجها فلما سمعه الفتى استحيا وخرج هاربا على
وجهه فلم يقفوا له على خبر الى اليوم فسمى فقيد ثقيف ﴿وروى﴾ نافع
مولى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا ثلاثة نفر يمشون
اذ أخذهم المطر فأووا الى غار فى جبل فانحط عليهم من الجبل صخرة
فانطبقت عليهم فقال بعضهم انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا
الله بها فدعوا الله تبارك وتعالى فقال أحدهم اللهم انك تعلم انه كان لى
أبوان شيخان كبيران وامرأة وصبيان فكنت أرعى عليهم فاذا رحت
اليهم حلبت وبدأت بوالدى أسقيهما قبل بنىّ وانى لم آت يوما حتى
أمسيت فوجدتهما قدناما فحلبت كما كنت أحلب فقمت عند رؤسهما
أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما فجعلوا
يتضاغون تحت قدمى فلم يزل ذلك دأبهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم
انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله
له فرجة وقال الآخر اللهم انك تعلم انه كانت لى ابنة عم فاحببتها كأشد
ما يحب الرجال النساء فطلبت اليها نفسها فابت حتى آتيها بمائة دينار
فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما قعدت بين رجليها قالت
يا عبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت عنها فان كنت تعلم انى

فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله جل ثناؤه فرجة وقال الآخر اللهم انك تعلم انى استأجرت أجيرا فلما قضى عمله قال اعطنى حقى فاعرضت عنه وتركته ثم اشتريت بحقه بقرا وراعها لها فجاءنى بعد حين فقال لى اتق الله ولا تظلمنى واعطنى حقى فقلت له اذهب الى تلك البقر وراعيها فخذ ذلك فقال لى اتق الله ولا تستهزئ بى فقلت انى لا أستهزئ بك فخذ تلك البقر وراعيها فاخذها وذهب فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج انا ما بقى ففرج الله عنهم ﴿وقال الاصمعى﴾ قلت لاعرابية من بنى عذرة أنتم أكثر الناس عشقا فما تعدون العشق فيكم قالت الغمزة والقبلة والضمة ثم قالت

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد

ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت وأنتم ياحضر كيف تعدون العشق فيكم قلت يقعد بين رجليها ويجهد نفسه فقالت يا ابن أخى ما هذا عاشقا هذا طالب ولد ﴿وقال﴾ عمر بن عبد العزيز فى خطبته ان أصل العبادة اجتناب المحارم وأداء الفرائض ﴿وروى﴾ عن عبد الرحمن بن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلت المرأة خمسها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت الجنة ﴿عرض﴾ الحجاج سجنه يوما فاتى برجل فقال له ما كان جرمك قال أصلح الله الامير أخذنى العسس وأنا مخبرك بخبرى فان يكن الكذب ينجى فالصدق أولى بالنجاة فقال ما قصتك قال كنت أخا لرجل فضرب الامير عليه البعث الى خراسان فكانت امرأته تجدبى وأنا لا أشعر فبعثت الى يوما رسولا قد جاء كتاب صاحبك فهلم فلتقرأه فمضيت اليها فجعلت تشغلنى بالحديث حتى صلينا العشاء ثم انها أظهرت لى ما فى نفسها ودعتنى الى السوء فابيت ذلك فقالت والله لئن لم تفعل لاصيحن ولاقولن انك لص فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هاربا وكان القتل أهون على من خيانة أخى فلقينى عسس الامير فاخذونى فانا أقول متمثلا

رب بيضاء ذات دل وحسن * قد دعتني لوصلها فأبيت
لم يكن شأني العفاف ولكن * كنت ندمان زوجها فاستحييت

فعرف صدق حديثه وأمر باطلاقه ﴿قيل لبعض الاعراب﴾ وقد طال عشقه بجارية ما أنت صانع لو ظفرت بها ولا يراكما غير الله قال اذا والله لا أجعله أهون الناظرين لكني أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها حديث يطول ولحظ كليل وترك ما يكرهه الرب وينقطع به الحب ﴿قال محمد ابن عبيد الله الزاهد﴾ كانت عندي جارية فبعتها فتبعتها نفسي فصرت الى مولاها مع جماعة اخوانه فسألوه أن يقيلني ويربح علي ماشاء فأبى فانصرفت من عنده مهموما مغموما فبت ساهرا لا أدري ما أصنع فلما رأيت ما بي من الجهد كتبت اسمها في راحتي واستقبلت القبلة فكل ما طرقني طارق من ذكرها رفعت يدي الى السماء وقلت ياسيدي هذه قصتي حتى اذا كان في السحر من اليوم الثاني اذا أنا برجل يدق الباب فقلت من هذا فقال أنا مولى الجارية ففتحت واذا بها فقال خذها بارك الله لك فيها فقلت خذ مالك والربح فقال ما كنت لآخذ منك دينارا ولا درهما قلت فلم ذلك قال أتاني الليلة في منامي آت فقال لي رد الجارية على ابن عبيد الله ولك الجنة ﴿وكان﴾ عبد الرحمن بن أبي عمار فقيه أهل الحجاز فمر بنخاس معه قينات فنظر اليهن فتعلق بواحدة منهن فاشتد وجده بها واشتهر بذكرها حتى أتى اليه عطاء ومجاهد يعذلونه فلم يكن جوابه الا ان قال

يلومونني فيك أقوام أجالسهم * فما أبالي أطال اللوم أم قصرا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فخرج حاجا بسببه وبعث الى مولى الجارية واشتراها منه بأربعين ألفا وأمر قيمة جواريه فحلتها وزينتها وبلغ الناس قدومه فدخلوا اليه للسلام عليه وفيهم عبد الرحمن بن أبي عمار فلما أراد الشخوص استجلسه فقال له ما فعل حب فلانة قال مشوب باللحم والدم والمخ والعظم والعصب وأمر بالجارية فاخرجت اليه وقال

هي هذه قال نعم أصلحك الله قال انما اشتريتها لك فوالله مادنوت منها فشأنك بها فهي لك مباركة وأمر له بمائة ألف درهم وقال له خذ هذا المال لئلا تهتم بها وتهتم بك قال فبكى عبد الرحمن فرحا وقال يا أهل البيت قد خصكم الله باشرف ماخص به أحدا من صلب آدم فلتهنكم هذه النعمة وبارك لكم فيها فكان هذا الفعل بعض مااشتهر به عبد الله بن جعفر من الجود ﴿وقيل لاعرابي﴾ أتعرف الزنا قال وكيف لا قيل فما هو قال مص الريقة ولثم العشيقة والاخذ من الحديث بنصيب قيل ماهكذا نعده فينا قال فما تعدونه قيل العنق الشديد وان تجمع بين الركبة والوريد وصوت يوقظ النوام وفعل يوجب كثيرا من الآثام قال اتالله مايفعل هذا العدو البعيد فكيف الصديق الودود ﴿وقيل لآخر﴾ ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تهوى قال كنت أطيع الحب في لثامها وأعصي الشيطان في آثامها ولا أفسد بضع عشرة سنين فيما يبقى ذميما عاره وينشر قبيحه أخباره في ساعة تفقد لذتها اني اذا اللئيم ولم يلدني كريم ﴿وقيل لآخر﴾ ما أنت صانع ان ظفرت بمن تحب قال أحلل مايشتمل عليه الخمار وأحرم ما كتمه الازار وأزجر الحب عما يغضب الرب ﴿وقيل لليلى﴾ هذا قيس مات لما به من عشقك قالت ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه قيل لها فما عندك حيلة تخفف مابه قالت صبري وصبره أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴿وقيل لعفراء﴾ وقد بلغها مانزل بعروة فكادت تبوح بسرها فقيل لها أما عندك له حيلة تخفف مابه فقالت والله لانا أسر بذلك وأشوق اليه منه ولكن لاسبيل الى احتمال العار ودخول النار (وقيل لمية) بعد موت قابوس ماكان يضرك لو امتعتيه بوجهك قبل موته قالت منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه غير اني وجدت ستره أبقى لنا لما في الصدر من المودة وأحمد العافية (وقيل) لابنة ملك من ملوك الفرس وقد أجهدها عشق رجل من اساورة أبيها لو روحت عن قلبك بالاجتماع معه كف ذلك من

وجدك

وجدك قالت ان الامر على ما تصفون ولكن ما عذرى اذا هتكت سترى وأظهرت أمرى عند من لا يلزمه عارى و يرغمه اشتهارى والله لا كان هذا أبدا (وحكى) السرى بن المطلب قال كان الحرث بن الشريد يعشق عفراء بنت أحمر فلما عيل صبره كتب اليها

صبرت على كتمان حبك برهة * وبى منك فى الاحشاء أصدق شاهد
هو الموت ان لم يأتنى منك رقعة * تقوم لقلبى فى مقام العوائد

فلما وصلت الرقعة كتبت اليه

كفيت الذى تخشى وصرت الى المنى * ونلت الذى تهوى برغم الحواسد
فوالله لولا أن يقال تظننا * بى السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما وصلت الرقعة اليه وضعها على وجهه فلما شم رائحة يدها شهق شهقة فقضى نحبه فقيل لعفراء ما كان يضرك لو روحت عن قلبه وأجبتيه بزورة قالت منعنى من ذلك قول لكن عفراء قد صبت الى الحرث فوالله لاقتلن نفسى اثره من حيث لا يعلم بى أحد الا الله فلحقت به سريعا (وقال العتبى) عشق كامل بن الرضين أسماء بنت عبد الله بن مسافر الثقفية وهى ابنة عمه فلم يزل به العشق حتى صار كالشن البالى فلما اشتد ما به شكا أبوه الى أبيها فزوجها له فحمل الى دارها وفيه رمق فلما دخل الدار قال أو أنا بموضع تسمع أسماء كلامى قيل نعم فشهق شهقة قضى مكانه فقيل لها يا أسماء قد مات بغصة قالت والله لاموتن بمثلها ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعنى قبح ذكر الريبة وسماجة الغيبة وسقطت فى المرض فلما اشتد بها قالت لاخص نسائها صورى لى صورته فانى أحب أن أزوره قبل موتى ففعلت فلما رأت الصورة اعتنقتها وشهقت شهقة قضت نحبها فدفنت مع الفتى فى قبر واحد وكتب على قبرهما

بنفسى هما ما امتعا بهواهما * على الدهر حتى غيبا فى المقابر
أقاما على غير التزاور برهة * فلما أصيبا قربا بالتزاور
فيا حسن قبر زار قبرا يحبه * ويا زورة جاءت بريب المقادر

﴿قال العتبى﴾ قال اعرابى لم يكن العشق ضربا من السحر انه لسعة من الجنون ﴿وسئلت﴾ اعرابية عن الهوى فقالت هو الهوان غلط باسمه وانما يعرف ما نقول من ابكته المعارف والطلول ﴿وسئلت﴾ اعرابية عن صفة الهوى فقالت

الحب أوله ميل تهيم به * نفس المحب فيلقى الموت كاللعب
يكون مبدؤه من نظرة عرضت * أو مزحة أشعلت فى القلب كاللهب
كالنار مبدؤها من قدحة فاذا * تضرمت أحرقت مستجمع الحطب

وأنشد لابى جعفر الطربخى

ليس خطب الهوى بخطب يسير * لا ينبئك عنه مثل خبير
ليس أمر الهوى يدبر بالرأ * ى ولا بالقياس والتفكير
انما الحب والهوى خطرات * محدثات الامور بعد الامور

﴿وقال اعرابى﴾ ان الصبر على الهوى أشد من الصبر على البلاء كما ان الصبر على المحبوب أشد من الصبر على المكروه ﴿وليم بعض الحكماء﴾ على الهوى فقال لو كان لذى هوى اختيار لاختار ان لا أهوى وأنشد لمجنون ليلى

أصلى فلا أدرى اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
أرانى اذا صليت أقبلت نحوها * بوجهى وان كان المصلى ورائيا
ومابى اشراك ولكن حبها * وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا

وأنشد لابى العتاهية

لا بارك الله فيمن كان يخبرنى * ان المحبين فى لهو ولذات
لموتة تأخذ الانسان واحدة * خير له من لقاء الموت مرات

﴿وأنشد لاعرابى﴾

وللحب أغصان تراها نضيرة * وفى طعمها للعاشقين ذعاف
رأيت المنايا فى عيون أوانس * تقتلن أرواحا وهن ضعاف

﴿وأنشد﴾

رأيت الحب نيرانا تلظى * قلوب العاشقين لها وقود
فلو كانت اذا فنيت تقضت * ولكن مثل ما كانت تعود
كأهل النار اذ فنيت جلود * أعيد من الشقاء لهم جلود

﴿وركبت﴾ سكينة بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم مع جواريها فمرت بعروة بن اذينة الليثى وهو فى فناء قصر ابن عتبة فقالت لجواريها من الشيخ فقلن لها عروة فعدلت اليه فقالت له يا أبا عامر تزعم انك لم تعشق قط وأنت تقول

قالت وابثثتها وجدى فبحت به * قد كنت عندى تحت الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصرى

كل من ترى حوالى من جوارى أحرار ان كان خرج هذا الكلام من قلب سليم قط ﴿وأما أهل الدعاوى الباطلة﴾ التى ليست أجسامهم بناحلة ولا ألوانهم بحائلة ولا عقولهم بذاهبة فهم عند ذوى الفراسة يكذبون وعند ذوى الظرف محرومون فمن ذلك ما روى ان العباس بن الاحنف قال بينما أنا أطوف اذ بثلاث جوار أتراب فلما أبصرننى قلن هذا العباس ودنت الى احداهن فقالت يا عباس أنت القائل

ماذا لقيت من الهوى وعذابه * طلعت على بلية من بابه

قلت نعم قالت كذبت يا ابن الفاعلة لو كنت كذلك كنت كأنك كشفت عن أشاجع معراة من اللحم فانشأت تقول

ولما شكوت الحب قالت كذبتنى * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلزق الجلد بالحشا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

﴿ومن ذلك﴾ ما روى عن ابراهيم بن المهدى قال دخل على المأمون فقال بالله ياعم هل عشقت قط فقلت نعم يا أمير المؤمنين وأنا الساعة عاشق قال وأنت على هذه الجثة والجسم الكبير عاشق فانشأ يقول

وجه الذى يعشق معروف * لانه اصفر منحول

الى ان قال

ليس كمن تلقاه ذا * جثة كأنه للذبح معلوف

﴿فاجابه ابراهيم﴾

وقائل لست بالمحب ولو * كنت محبا لذبت مذ زمن

أحب قلبي وما درى بدني * ولو درى ما أقام في السمن

وهذان قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهد النظر ولم يجز ادعاؤهما على ذوى المعرفة والنظر وقول ابراهيم أحب قلبي وما درى بدنى من كثرة المحال ان يتعلق القلب لسبب فيسلم الجسم منه على حال ولكنه لاستحيائه من ادعائه اعتذر فقبح في اعتذاره وأنشدني بعض المشايخ

وقائلة ما بال جسمك لا يرى * سقيما واجسام المحبين تسقم

فقلت لها قلبي بحبك لم يبح * لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

والعرب تمدح أهل النحول وتذم أهل السمن والجسوم وتنفيهم عن الادب وتنسب أهل النحول الى المعرفة وحسن البيان وأهل السمن الى الغباوة وبعد الاذهان ﴿زعموا﴾ ان من غلب عليه البلغم غلظ جسمه وكبر شحمه وزاد لحمه وقل فهمه وطال نسيانه وتعقد لسانه لغلبة البلغم على قلبه والرطوبة على لبه ومن كان أغلب مزاجه المرة جف جسمه وقل لحمه وصح ذهنه ودق فهمه وانه يستدل بها على حسن أدب ذوى الالباب وصحة أذهان ذوى الآداب لا تكاد تخطى فيه الفراسة ولا تكذب فيه الدلالة لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على صاحبه واستقراره في مركبه وربما أنجب السمن وخاب الهزال ولا يكون ذلك الا في الفرد النادر من الرجال ومن أمثلة العرب في ذلك البطنة تذهب الفطنة ﴿قال على بن الجهم﴾ لما أفضت الخلافة الى جعفر المتوكل على الله أهدى اليه ابن طاهر من خراسان هدية جليلة فيها جوار منهن جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف وكان لها مولى قد عني بها فبرعت في فنون الادب وأجادت قول الشعر وكانت راوية ظريفة مجيدة للغناء فقربت من قلب المتوكل وغلبت عليه قال فخرج

عليّ يوما وقال لي يا علي دخلت الساعة على فينة وقد كتبت بالمسك على خدها جعفرا فما رأيت أحسن منه فافعل فيه الساعة شعرا فاخذت الدواة والقرطاس فانقفل عليّ حتى كأني ما عملت بيتا قط فقلت يا أمير المؤمنين لو أذنت لمحبوبة ان تقول شيأ عسى ان ينفتح لي فامرها فقالت مسرعة واخذت العود فجسته وصاغت لحنا واندفعت فغنت

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا * بنفسي خط المسك من حيث اثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها * لقد اودعت قلبي من الشوق أسطرا
فاعجب لمملوك يظل مليكه * مطيعا له فيما أسر وأجهرا

قال علي وغضب عليها مرة وكان لا يصبر عنها فامر جواري القصر أن لا تكلمها واحدة منهن فكانت في حجرتها أياما وقد تنغص عيشه لفراقها فبكرت عليه يوما فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال رأيت الليلة في منامي كأني رضيت عن محبوبة فصالحتها وصالحتني فقلت خيرا يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وسرك انما هي عبيدتك والسخط والرضا بيدك فوالله انا لفي حديثنا اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة قال فقم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب العود وتغني

أدور في القصر لا أرى احدا * أشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد اتيت معصية * ليست لها توبة تخلصني
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارني في الكرى فصالحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره فصادمني

قال فصاح أمير المؤمنين وصحت معه فلقته وأكبت على رجله تقبلها فقال ما هذا فقالت يا مولاي رأيت في ليلتي هذه كأنك صالحتني فتعللت بما سمعت قال فأنا والله قد رأيت مثل ذلك وقال يا علي ارأيت اعجب من هذا كيف اتفق ورجعنا الى الموضع الذي كنا فيه واصطلح وما زالت تغنيه هذه الابيات يومنا ذلك وازدادت حظوتها عنده حتى كان من

أمره ما كان فتفرقت جواريه فصارت محبوبة الى الوصيف الكبير فما زالت باكية حزينة فدعاها يوما مع من صار اليه من جوارى المتوكل فامرهن فغنين ثم أمرها فاستعفته فابى فقلن لها لو كان فى حزننا فرح لطال حزننا معك وجىء بعود فغنت به

اى عيش يلذ لى * لا أرى فيه جعفرا

كل من كان ذا ضنا * وسقام فقد برا

غير محبوبة التى * لو ترى الموت يشترى

﴿ومن ذلك ما حكى﴾ جميل بن معمر العذرى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا جميل حدثنى ببعض أحاديث بنى عذرة فانه بلغنى انهم اصحاب أدب وغزل قال نعم يا أمير المؤمنين أعلمك ان آل بثينة انتجعوا عن حيهم فوجدوا النجعة بموضع نازح فظعنوا فخرجت أريدهم فبينما أنا أسير اذ غلطت الطريق وأجننى الليل فلاحت لى نار فقصدتها حتى وردت على راع فى أصل جبل قد انحنى عنه الى كهف فيه فسلمت فرد على السلام وقال أظنك قد غلطت الطريق فقلت أجل فقال انزل وبت الليلة فاذا أصبحت وقفت على القصد فنزلت فرحب بى وأكرمنى وذبح شاة وأجج ناره وجعل يشوى و يلقى بين يدى ويحدثنى فى خلال ذلك ثم قام بإزار كان معه فوضع به جانب الخباء ومهد لى محلا خاليا فنمت فلما كان فى الليل سمعته يبكى الى شخص كان معه فارقت له ليلتى فلما أصبحت طلبت الاذن فأبى وقال الضيافة ثلاث فجلست وسألته عن اسمه ونسبه وحاله فانتسب فاذا هو من بنى عذرة من أشرفهم فقلت وما الذى جاء بك الى هذا فاخبرنى انه كان يهوى ابنة عم له وانه خطبها من أبيها فأبى أن يزوجه اياها لقلة ذات يده وانه تزوجها رجل من بنى كلاب وخرج بها عن الحى وأسكنها فى موضعه وانه رضى ان يكون لزوجها راعيا حتى تأتيه ابنة عمه فيراها و أقبل يشكو قديم عشقه لها وصبابته بها حتى أتى المساء وحان وقت مجيئها فجعل يتقلقل و يقوم و يقعد ثم وثب قائما على قدميه

وأنشأ يقول

مابال مية لاتأتي كعادتها * أعاجها طرب أو صدها شغل
لكن قلبي عنكم ليس يشغله * حتى الممات ومالي غيركم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم * لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسي فداؤك قد أحللت بي سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو ان مابي من سقم على جبل * لزال وانهد من أركانه الجبل

ثم قال لي اجلس ياأخا بني عذرة حتى أكشف خبر ابنة عمي ثم مضى فغاب عن بصري فلم ألبث ان أقبل وعلى يديه محمول وقد علا شهيقه ونحيبه فقال ياأخي هذه ابنة عمي أرادت زيارتي فاعترضها الاسد فأكلها ثم وضعها بين يدي وقال على رسلك حتى أعود اليك فغاب عن نظري فابطأ حتى آيست من رجوعه فلم ألبث ان أقبل ورأس الاسد على يديه فوضعه ثم قال ياأخي انك ستراني ميتا فاعمد الي والى ابنة عمي فادرجنا في كفن واحد وادفنا في قبر واحد واكتب على قبرنا هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش في مهل * والشمل يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف الفتنا * فصار يجمعنا في بطنها الكفن

ورد الغنم الى صاحبها وأعلمه بقصتها ثم عمد الى خناق وطرحه في عنقه فناشدته الله لاتفعل فأبى وخنق نفسه حتى مات فلما أصبحت كفنتهما ودفنتهما وكتبت الشعر كما أمر ورددت الغنم الى صاحبها وأعلمته بقصتها فحزن حزنا خفت عليه الهلاك أسفا على مافرط من عدم اجتماعهما

﴿وقد روى﴾ عن محمد بن جعفر بن الزبير قال كنا عند عروة بن الزبير وعنده رجل من بني عذرة فقال له ياعذري بلغني ان فيكم رقة وغزلا فاخبرني ببعض ذلك فقال لقد خلفت في الحي ثلاثين مريضا مابهم داء لا الحب قد خامر قلوبهم وان فيه من المرارة والنكد والكمد ماهو مستعذب عند أربابه مستحسن عند أصحابه حلو لا تعدله حلاوة ومر لا تعدله مرارة قال الكميت بن زيد في ذلك

الحب فيه حلاوة ومرارة * سائل بذلك من تطعم أوذق
ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فيما مضى أحد اذا لم يعشق

﴿وقال آخر﴾

ياأيها الرجل المعذب بالهوى * انى باحوال الهوى لعليم
الحب صاحبه يبيت مسهدا * فيطير منه فؤاده ويهيم
والحب داء قد تضمنه الحشا * بين الجوانح والضلوع مقيم
والحب لايخفى وان أخفيته * ان البكاء على الحبيب يدوم
والحب فيه حلاوة ومرارة * والحب فيه شقاوة ونعيم
والحب أهون مايكون مبرح * والحب أصغر مايكون عظيم

﴿وأنشدنى أحمد بن يحيى﴾

سلنى عن الحب يامن ليس يعلمه * ماأطيب الحب لولا انه نكد
طعمان حلو ومر ليس يعدله * فى حلق ذائقه مر ولا شهد

﴿وأنشد أبو الطيب﴾

سلنى عن الحب يامن ليس يعلمه * عندى من الحب ان ساءلتنى خبر
انى امرؤ بالهوى مازلت مشتهرا * لاقيت فيه الذى لم يلقه بشر
الحب أوله عذب مذاقته * لكن آخره التنغيص والكدر

﴿وذكر ابن عتيق﴾ قال بينما أنا أسير فى أرض بنى عذرة اذ أنا ببيت جديد فدنوت منه فاذا بعجوز تعالل شابا قد نهكته العلة وبانت عليه الذلة فسألتها عن خبره فقالت هذا عروة بن حزام فدنوت منه فسمعته يقول

من كان من اخواتى باكيا لغد * فاليوم انى أرانى اليوم مقبوضا

فقلت أنت عروة بن حزام قال نعم الذى أقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفيانى
فقالا نعم تشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدرانى
فما تركا من سلوة يعلمانها * ولا شربة الا وقد سقيانى
فقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع يدان

فويلي على عفراء ويلا كأنه * على النحر والاحشاء حد سنان
فعفراء أصفى الناس عندي مودة * وعفراء عندي المعرض المتواني

ثم شهق شهقة توهمت انها غشية فتنحيت عنه ودنت العجوز فوجدته قد قضى نحبه فما برحنا حتى دفناه ﴿وبلغ العشق أيضا﴾ بمجنون عامر الى ماذكرناه في موضعه قال بعضهم سمعت اعرابية تطوف وهي تقول اللهم مالك يوم القضا وخالق الارض والسما ارحم أهل الهوى وانقذهم من عظيم البلا فانك تسمع النجوى قريب لمن دعا ثم أنشأت تقول

يارب انك ذو من وذو سعة * دارك بعافية منك المحبينا
الذاكرين الهوى من بعدما رقدوا * حتى تراهم على الايدي مكبينا

فقلت لها ياهذه أيقال هذا في الطواف فقالت اليك عني لا يرهقك الحب فقلت وما الحب فقالت جل ان يخفى ودق عن ان يرى له كمون ككمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى قال فتبعتها حتى عرفت منزلها فلما كان من غد جاء مطر شديد فمررت ببابها وهي قاعدة مع أتراب لها وهن يقلن لها أضر بنا المطر ولولا ذاك لخرجنا الى الطواف فانشأت تقول

قالوا أضر بنا السحاب بقطره * لما رأوها بالعبير تحكي
لا تعجبوا مما ترون فانما * تلك السماء لرحتي تبكي

وقد زعم قوم انه لا ذنب على أهل الهوى ولا وزر على ذوي الضنا وان خطاياهم تمحى عنهم لطول بلائهم وكثرة شقائهم ولما يلقون من القلق ويعانون من الارق ﴿أبو الحسن المدايني﴾ عن الاصمعي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو أدركت عفراء وعروة لجمعت بينهما قال الزبير ابن بكار كان العرجي وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه يعشق أم الاوقص المخزومي القاضي وهي امرأة من بني تميم فكان يتعرض لها فاذا رأته رمت بنفسها وتسترت منه فمر بها يوما وهي

في بعض نسوة وهن يتحدثن فعرفها فاحب ان يراها من قرب فعدل عنها ولقي اعرابيا ازا كبا ومعه لبن رطب فدفع دابته وثيابه واخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه ثم أقبل على النسوة فصحن يا اعرابي أعندك لبن قال نعم ومال اليهن وجلس يتأمل التميمية وينظر أحيانا الى الارض كأنه يطلب شيأ وهن يشربن من اللبن فقالت له امرأة منهن أى شئ تطلب يا اعرابي أضاع منك في الارض قال نعم قلبي فلما سمعت التميمية كلامه نظرت اليه وكان أزرق فعرفته وقالت ابن عمرو ورب الكعبة ووثبت فسترها نساؤها وقلن له انصرف عنا لا حاجة لنا الى لبنك فمضى منصرفا (قال العتبي سمعت اعرابية تقول مسكين العاشق كل شئ عدوه هبوب الريح تقلقه ولمعان البرق يؤرقه ورسوم الديار تحرقه والعذل يؤلمه والتذكير يسقمه اذا دنا الليل منه هرب النوم عنه ولقد تداويت بالقرب والبعد فما أنجح فيه دواء ولقد أحسن الذي يقول

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

(وقال اعرابي) ان لي عينا دموعا وقلبا مروعا فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه مع ان داءهما دواءهما وسقمهما شفاؤهما (وذكر اعرابي) وجده بامرأة فقال ما ازدادت مني بعدا الا ازددت بها قربا (وذكر اعرابي) امرأة وكان يواصلها في شبابه فقال ما كانت أيامي معها الا كاباهيم القطا قصرا ثم طالت بعدها شوقا اليها وأسفا عليها فاليوم بعدها دهر والساعة شهر (قال أبو بكر بن دريد) كانت امرأة من نخم يقال لها سعدى تهوى ابن عم لها يقال له عيسى فلما خشي أهلها الفضيحة قالوا لها ان نطقت فيه بشعر قطعنا لسانك وعندها قالت

خليلي ان اصعدتما أو هبطتما * بلادا هوى نفسي بها فاذكرانيا
ولا تدعا ان لامني ثم لاتما * على سخط الواشين ان تعذرانيا
فقد شف جسمي بعد طول تجلدي * أحاديث من عيسى تشيب النواصيا
سأرعى لعيسى الود ما هبت الصبا * وان قطعوا في ذاك عمدا لسانيا

﴿وطلق﴾ اعرابى امرأته فقالت لم طلقتنى فقال لانك واسعة الثقبة حديدة الركبة خفيفة الوثبة فقالت له وأنت سريع الاراقة بطئ الافاقة ثقيل بين اليدين خفيف بين الرجلين ﴿وطلق﴾ قيس بن الذريح امرأته لبنى فندم على ذلك وقال

فوا كبدى على تسريح لبنى * فكان فراق لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فازعجونى * فيا للناس للواشى المطاع
فاصبحت الغداة ألوم نفسى * على أمر وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه * تبين غبنه بعد البياع

﴿وتزوج﴾ الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر فلما دخلت عليه نظر اليها وعبرتها تجود على خدها فقال لها بابى وأمى مم تبكين فقالت من شرف اتضع ومن ضعة شرفت فلما كتب اليه عبد الملك بن مروان بطلاقها قال لها ان أمير المؤمنين أمرنى بطلاقك قالت هو والله أبر بى ممن زوجك اياى فلما مات أبوها لم تبك عليه فقيل لها فى ذلك فقالت والله ان الحزن ليبعثنى وان الغيظ ليصمتنى ﴿وكانت﴾ زينب بنت مرة عند ابن عم لها يقال له المغيرة فجرى بينهما عتاب فطلقها ثلاثا فقالت

يا أيها الراكب الغادى مطيته * عرج أبثك عن بعض الذى أجد
ما عالج الناس من وجد ومن كمد * الا وجدت به فوق الذى وجدوا
حسبى رضاه وانى فى مسرته * ووده آخر الايام أجتهد

﴿كانت﴾ عند رجل امرأة يقال لها أم مالك وكان بها معجبا فأقسمت عليه أمه ان يطلقها فطلقها فذهب عقله ونحل جسمه فحضره الموت فدخلت عليه أم مالك تعوده فلما ولت قال لامه يا عجوز ليهنك فقد ابنك فى الدنيا والاثم لك فى الآخرة ثم أنشأ يقول

لنا حاجة فى آل مروان دونها * من النفر الغر الوجوه قبيل
فت كمدا ان كان يومك قد أتى * أو اصبر على ما خيلت فقليل

فلما خرجت عنه فاضت نفسه وما وصلت الى منزلها حتى سقطت ميتة

﴿قال ابراهيم بن عقبة﴾ طلق اعرابى امرأته وحمله على ذلك عقله فندم وأنشأ يقول

اذا ذكرت ليلى ترقرق دمعه * كأن لم تكن عين بها قبل قرت
وان ثلاثا منك لو تعلمينه * دنت دون حلو العيش حتى أمرت

﴿أبو العيناء﴾ عن أبى حمزه الغسانى قال نزل اعرابى من بنى أسد بيت اعرابية من بنى تميم ضيفا فاتته بقرى حاضر وماء بارد فجعل ينظر اليها من وراء الستر ثم راودها عن نفسها فقالت له ياهذا أما يقرعك الاسلام والكرم كل وان أردت غير ذلك فارتحل فقال لها زوجينى اذا نفسك فقالت الاولياء يزوجونك نخاف ان لا يزوجوه للعداوة بين الحيين فانتسب الى بنى عذرة فزوجوه فاقام عندهم زمانا ثم علموا انه أسدى فقالوا والله والله انك لكفء كريم ولكن نكره ان تنكح فينا وأنت حرب لنا فخل عن صاحبتنا وكان يحبها حبا شديدا فطلقها وقال

أحبك ياعم حب الحياه * ونيل المنى وبلوغ الظفر
ويعجبنى منك عند اللقاء * حياة الكلام وموت النظر
ونائى الجبين شديد البياض * كثيف الجوانب مثل القمر
له وهج كضرام الحريق * يكاد يحرق جلد الذكر

قال ابو ذكوان لم تقل العرب فيما يريده الرجال من النساء أحسن من هذا

﴿قال﴾ خرج محمد بن المسيرى الخارجى البصرة فى طلب ميراث له وبها نفر من قومه وأقام بها حولا ينشدهم ويحدثهم وكانت امرأة منهم ذات جمال ومال لا يطمع فيها أحد فقالوا والله ياأبا سلمان هل لك فى امرأة مناسبة فى قومها جمالا وعقلا وعفافا ورأيا قد سمعت بقدمك فذكرت لها فزعمت انك طلقت زوجتك التى خلفتها فى بلدك فرغبت فيك فان أحببت أقمت عندنا فيما ترى من طيب بلادنا وربعنا وعلينا صداقك وما تحتاج اليه فاقبلوا به وأدبروا واجتهدوا فأبى عليهم وقال فى ذلك

أسائل بالعراق فراق سعدى * ولا تبدى ولا يرها الفراق

لئن

لئن ربح الفراق لهجر سعدى * على أشد من ربح الفراق
اذا عذلوا أقول لهم لسعدى * حلائق لا يحل لها الطلاق
حرام ان يقول نساء قوم * تركتك أو تحدثت بي الرفاق

﴿سمعت اعرابية﴾ تقول لزوجها يا مفلس يا قرنان فقال لها ان كان ماذكرت حقا فواحدة من الله وأخرى منك يا زانية وأنت طالق ثلاثا ﴿خاصمت﴾ امرأة زوجها فطلقها فقالت له يا هذا ولم طلقتني وقد كنت لك ناصحة وعليك شفيقة ومافي عيب الا ضيق بجبهتي فقال لها زوجها لو كان الضيق في حرك ماطلقتك أبدا ﴿كانت﴾ لرجل في الاهواز ضيعة بالبصرة وكان يتعاهدها في حين الانتفاع بالثمار فتزوج بها امرأة وانتهى الخبر الى امرأته الاهوازية فاستخرقت كتابا على لسان بعض اخوانه بالبصرة يعزيه في البصرية و يقول الحق المال الذي خلفت ولا تتأخر وأعطت الكتاب لبعض الملاحين وجعلت له جعلا فلما وصل الكتاب الى زوجها وجد لموتها وجدا عظيما وقال للاهوازية أصلحي لي سفرتي فاني راكب الى البصرة ففعلت فلما أصبح الغد ركب فرسه واعطته السفرة ثم قبضت على عنان فرسه وقالت له ماتكثر اختلافك الى البصرة الا ولك بها امرأة تزوجتها فقال لها والله مالي بالبصرة امرأة فالذي وقف عليه من الكتاب فقالت له لست أدرى ماتقول وانما تحلف وتقول كل امرأة لي غيرك طالق ثلاثا بقول جميع المسلمين فالذي وقف عليه الرجل من موت البصرية قال في نفسه تلك ماتت فلم أغير صدر هذه فقال لها كل امرأة لي غيرك في جميع الاقاليم فهي طالق ثلاثا بقول جميع المسلمين فقالت له لا تتعبن فقد طلقت الحبيبة فندم الرجل وأسقط مافي يديه ﴿ولما تزوجت ليلى﴾ صاحبة قيس بن الملوح هام على وجهه مع الوحش وكان يقول

لها في سواد القلب تسعة أسهم * وللناس في ذاك المكان عشير
ولست بمحص حب ليلى لسائل * من الناس الا ان يقول كثير

وتنشر نفسي بعد موتي لذكرها * فموت لنفسي مرة ونشور
أتاني بظهر الغيب ان قد تزوجت * فكادت بي الارض البراح تمور
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا * تلاق وعيني بالدموع تفور
لئن كان تبدي برد اعيانها العلى * لأ فقر منى انني لفقير
فما أسرع الاخبار ان قد تزوجت * فهل يأتيني بالطلاق بشير

﴿حكى﴾ ابراهيم بن محمد بن عرفة قال كانت أم عبد الملك بن سعيد بن خالد ابن عمرو عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك فرض سعيد وهو بالبادية فعاده فدخل عليه وعنده أختها سلمى فستر وها فرأى منها المحة ثم قامت فرأى طولها فطلق أختها وخطبها فلم يزوجه اياها وكانت اختها ام عثمان عند هشام بن عبد الملك فبعث الى أبيها اباك ان تزوج الوليد تريد ان تتخذه فحلا لبناتك يطلق واحدة ويتزوج اخرى فابى ان يزوجه فقال الوليد العجب من سعيد خطبت اليه فردني ولو قد مات هشام واستخلفت لزوجنيها فان زوجتها فهي طالق وان كنت أهواها وقد ذكرنا حديثه مستقصى في موضعه من هذا الكتاب ﴿خاصمت﴾ امرأة زوجها الى المطلب بن حنطب المخزومي قاضي المدينة وكانت قالت له أسأت الي وأوجعتني ووالله ما أستطيع قال بقتك عسى من الجوع والجهد وما أقمن الا على الوطن فقال أنت طالق ان كان لا يقمن الا على الوطن فاخبرت القاضي بما قالت وبما قال فقال القاضي بطاب المقادير ورب الكعبة ان الابل ليكون بالمكان الجدب الخسيس المرعى فتقيم فيه بحب الوطن فقال الزوج كان المسئلة أصلح الله القاضي أشكلت عليك هي طالق ألف مرة ﴿وطلق﴾ علي بن منظور امرأته فندم عليها ندما شديدا فقال

ما الطلاق فقدته * وفقدت عاقبة الطلاق
طلقت خير خليلة * تحت السموات الطباق

﴿وأحبت﴾ امرأة الاعرابي ان تفارقه فقال

تمنين الطلاق وأنت مني * بعيش مثل مشرفة الجمال

﴿وقال خالد بن صفوان﴾ ما بت ليلة أحب الي من ليلة طلقت فيها نسائي فارجع والستور قد هتكت ومتاع البيت قد نقل فبعثت الى بنتي سليلة فيها طعام وبعثت الاخرى الي بفراش أنام عليه ﴿وقيل﴾ لامرأة كانت تطلق كثيرا مالك تطلقين أبدا قالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم قبورهم ﴿وقال اعرابي لامرأته﴾

أنوهت باسمي في العالمين * وأفنيت عمري عاما فعاما

فانت الطلاق وأنت الطلا * ق وأنت الطلاق ثلاثا تؤاما

﴿عروة بن الزبير﴾ عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان رفاعة طلقني فبت طلاقي واني تزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير وما معه الا مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلة الزوج الثاني ويذوق عسيلتك ﴿دخل﴾ مدني البصرة فتزوج فيها امرأة ثم حصل بينهما شر فقال لها أنت طالق عدد شعر استك فقالت قاتلكم الله يا أهل المدينة تسرغون الطلاق وتوزرون الطلاق ﴿قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت لعطاء﴾ بن صيفي الثقفي لو أصبت زكرة مملوءة خمرا بالبقيع ما كنت صانعا بها قال أفرقها في بني النجار فانها لا تعدوهم ولكن اخبرني أيما أكبر جدك ثابت أم جدتك فريعة قال لا أدري قال عطاء الفريعة كانت أكبر وقد تزوجها قبله أربعة أزواج كلهم يلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها فقيل لها يافريعة لم تطلقين وأنت بمثل هذا الجمال قالت يلتمسون الضيق ضيق الله عليهم ﴿وطلق اعرابي﴾ زوجته فقيل له ألا تتزوج بعدها فقال مكابدة العفة أيسر من الاحتيال بمصلحة العيال ﴿تزوج﴾ الفضل بن قطن الحارثي ابنة المهلب بن أبي صفرة فجلس يوما معها شرب فاراد الافتخار عليها فقال

ان كنت ساقية يوما على كرم * كأس المدام فاسقيها بني قطن

ثم انه تحرك فضرط فقالت وأسق هذه بني قطن أيضا فخجل وقال اذهبي

فانت طالق ﴿وطلق﴾ عطية بن أشجع محبوبة بنت عبد الله امرأته فزوجت رجلا ذميما فقال في ذلك

لعمري أبي سلمى ولست بشامت * بسلمى فقد أمست بها النعل زلت
وليس لغفور لسلمى ذنوبها * وان هي صامت كل يوم وصلت
ولو ركبت ماحرم الله لم يكن * بأعظم عند الله مما استحلت

﴿كانت﴾ لبعض الصالحين امرأة تبغضه وكان اذا نهاها عن أمر دعت الله أن يريحها منه وان يعجل طلاقها فاضجرته يوما فطلقها فسجدت لله شكرا فقال الرجل اللهم انها وضعت اليك فما كاذبا ووجها وقاحا ورفعت استا مجاهرة بالفحشاء فاجرة فوثب سنور في البيت فافزعها فضرطت فقال الحمد لله الذي سهل فرقتك وعجل فضيحتك

﴿باب ما جاء في الغيرة﴾

﴿يروى﴾ عن عروة بن الزبير عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر لا شيء أغير من الله * وعن عبد الله بن مسعود أنه قال ان الله ليغار للمسلم فليغر وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شيء أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغيرة غيرتان فغيرة يحبها الله وغيرة يكرهها الله قلنا يارسول الله ما الغيرة التي يحبها الله قال ان يغار أن يأتي معاصي الله وينتهك محارمه قلنا وما الغيرة التي يكرهها قال ان يغار أحدكم في غير كنهه وعن عبد الملك بن عمير بن عبد الله ابن بكار انه قال الغيرة غيرتان غيرة يصلح بها الرجل أهله وغيرة تدخله النار ﴿ويروى﴾ ان سارة كانت تحب ابراهيم خليل الرحمن فكثت معه دهرا لا ترزق ولدا فلما رأت ذلك وهبت له هاجر وكانت أمة لها قبطية فولدت لابراهيم اسمعيل صلى الله عليهما فغارت من ذلك سارة ووجدت في نفسها وعتبت على هاجر فحلفت لتقطعن عضوا من أعضائها فقال لها

ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه هل لك ان تبري يمينك قالت كيف أصنع قال اثقبي أذنيها وخصفيها والخصف هو الخياطة ففعلت ذلك بها فوضعت في اذني هاجر قرطين فازدادت حسنا فقالت سارة اني اغا زدتها جمالا ولم تتركه على كونها معه ووجد بها ابراهيم وجدا شديدا فنقلها الى مكة وكان يزورها في كل وقت من الشام لشغفه بها وقلة صبره عنها ❊ وعن ابن أبي مليكة ❊ ان ابن عمر سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر قال فجمع لها جرائد ثم أتى فضربها بها ❊ وعن علقمة ❊ ان معاذ بن جبل كان يأكل تفاحة ومعه امرأته فدخل عليه غلام فناولته امرأته تفاحة قد أكلت منها فاوجعها ضربا ❊ وقال بعضهم ❊ لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها واستدل بافراط غيرتها على افراط حرصها وهذا القول خطأ قد علمنا ان الرجل أشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل وربما كان الذي يبدو من المرأة عند تسري زوجها بالسراري وتزويجه المهيرات وحين تراه مع بعضهن توهما الفعل ان ذلك من الطربة والكراهة المشاركة فيه وبعض ذلك يكون من طريق الالفة والنفاسة به وليس شكل ماتلقى المرأة اذا رأت على فراشها من شكل مايلقى الرجل اذا رأى على فراش امرأته رجلا لان المرأة قد عاينت ان الرجل له أربع نسوة وألف جارية يطؤهن على أعين لما أحله الله في الشريعة وكذلك غيرة فحول الحيوان على اناثها الان فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل يعرض لها حتى تصير الى الغالب قال الراجز ❊ يغار والغيرة في خلق الذكر ❊ والامم تختلف في الغيرة فمن الصقالبة ناس لا يتزوجون من قرب منهم في النسب ولا الدار واذا مات البعل خنقت المرأة نفسها أسفا عليه والمرأة من الهند اذا مات زوجها وأرادوا احرقه جاءت ليحرقوها معه والديلمي يخرج من الديلم الى حدود مابين دار الاسلام والديلم ومعه امرأته واخواته وعماته فيبيعهن صفقة واحدة ويسلمهن الى المبتاع

لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله وأهل طبرستان لا يتزوج الرجل الجارية منهن حتى يستبطن بها حولا محرما ثم يقدم بها فيخطبها الى أهلها ويتزوجها ثم يزعمون مع ذلك انه يجدها بكرا وقد عانقها فى ازار واحد سنة كاملة وهو لا يستبطن بها ويحتمل وحشة الاغتراب وانقطاع الاسباب وان من أعجب العجب ان يكثا متعانقين فى لحاف واحد يتحجر عن ألذ الامور تكرما وهذا التكرم عند علوج طبرستان من العجائب ﴿وقال معاوية رضى الله عنه﴾ ثلاث خصال من السؤدد الصلع واندماج البطن وترك الافراط فى الغيرة ﴿ولما﴾ نزل قيس بن زهير ببعض العرب قال لهم انى غيور وأنا فخور وأنا أنف ولكن لا أغار حتى أرى ولا أفخر حتى أفعل ولا آنف حتى أضام فعابوه بقوله لا أغار حتى أرى ويظن به اغاعنى رؤية السبب لا رؤية المرافقة وعابوا معاوية أيضا بقوله هذا ونسبوه الى قلة الغيرة وما أرى فى قوله وترك الافراط عيبا لان الافراط المجاوز للحق ولمقدار المصلحة وظلم الخليلة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق وعاب الناس قول هدبة بن خشرم حيث يقول

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا

فهذا يأمرها بتزويج الانزع القليل شعر القفا والوجه ولا أرى فيه عيبا أيضا الا انه انما قال ذلك ليذكرها جمال نفسه ليزهدها فى غيره وأما قول نصيب

أهيم بدعد ما حييت وان أمت * فيا ليت شعرى من يهيم بها بعدى

فانى لم أجد له تأويلا وعاب ذلك عليه عبد الملك بن مروان وقال لجلسائه أولو كنتم قائلين هذا البيت ما كنتم تقولون قالوا لا ندرى فكيف كان أمير المؤمنين قائلا قال كان يقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فلا صلحت دعد الى خلة بعدى

وكان الرجل من العرب اذا خرج مسافرا بدأ بالشجرة يعقد خيطا على ساقها أو على غصن من أغصانها فاذا رجع الى أهله بدأ بالشجرة فنظر

الى الخيط فان كان منحلا حكم ان امرأته خانته وان كان على حاله حكم انها حفظته وانشد أبو زيد النحوى

هل ينفعنك اليوم ان همت بهم * كثرة ماتوصى وتعقى الرتم

والرتم اسم للخيط الذى يعقد فى الخنصر لتذكر الحاجة وكان معاوية ابن أبى سفيان يتمثل بقول الشاعر

ومن اقب رجع السلام بكفه * ومودع لم يستطع تسليما

﴿وقال آخر﴾

واضحى الغيور أرغم الله أنفه * على ملتقانا قائما يتمطق

وقد مد تشد قيه من الغيظ والاذى * كما مد تشد قيه الحمار المخنق

﴿وقال الراعى﴾

وظل الغيور آرضا ببنانه * كما عض برذون على الفاس جامح

لقد رابنى ان الغيور يودنى * وان نداماى الكهول الجحاجح

وصد ذوات الظعن عنى وقد رأت * كلامى لمراء السنا الطوامح

﴿وقال عبد الله بن الدمينة﴾

ولما لحقنا بالحمول ودوننا * خميص الحشا توذى القميص عواتقه

عرضنا فسلمنا فسلم كارها * علينا وتبريح من الغيظ خانقه

فرافقته مقدار ميل وليتنى * على زعمه مادمت حيا أرافقه

﴿وقال مسكين الدارمى﴾

وانى امرؤ لا آلف الا قاعد * الى جنب عرسى لا أفارقها شبرا

ولا مقسم لا تبرح الدهر بيتها * ليجعلها قبل الممات لها قبرا

اذا هى لم تحصن امام قناعها * فليس بمنجيها بناى له قصرا

ولا حامل ظنى ولا قول قائل * على غيرها حتى أحيط بها خبرا

فهبنى امرأ راعيت مادمت شاهدا * فكيف اذا ما سرت عن بيتها شهرا

﴿وقال مسكين أيضا﴾

ألا أيها الغائر المستشيط * على ما تغار اذا لم تغر

تغار على الناس ان ينظروا * وهل يغبن المحصنات النظر
فـاخـير عرس اذا خفتها * وبت عليها شـديد الحذر
تـكاد تصـفق أضـلاعه * اذا ما رأى زائرا أو زفـر
فمن ذا يراعي له عرســـه * اذا ضمـه والمطى السفر

﴿وثلاثة من شعراء أولاد العجم﴾ ممن كان مشـتهرا بالغزل مذكورا بالشعر بالبادية كلهم قتلوا منهم وضاح اليمن ويسار الكواعب وسحيم عبد بني الحسحاس وانما قتـلوا اكفاء أولئك النسـاء وحفظا لهن حين رأوا التعرض وشنعة تلك الاشعار لا يشغلهم عنها الا قتلهم مخافة ان يكون ذلك القتـل يحقق المقالة القبيحـة ألا ترى ان الحجاج بن يوسف في عتوه لم يتعرض لابن نمير في تشبيه بزينب أختـه مخافة ان يكون ذلك سببا للخوض في ذكرها فيزيد زائد ويكثر مكثر وكذلك معاوية بن أبي سفيان لم يعترض لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وكان يتشبب بابنته حتى قال

ثم حاضرتها الى القبة الخضـ * ـراء تمشي في مرمر مسنون

ومن أحق بالقتل من سحيم عبد بني الحسحاس حيث يقول

وبتنا وسادانا الى علجانة * وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفا وتثني بمعصم * علي وتحوي رجلها من ورائيا
وهبت شمال آخر الليـل قرة * ولا ثوب الا درعهـا وردائيا
فـما زال ثوبي طيبا من نسيمها * الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

ومن روايه ليقتلوه على الذي اتهم بها فضحكت فقال

فان تضحكي مني فيارب ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

﴿وحكى﴾ العتبي قال سمع عقيل بن علقمة المري بنتا له ضحكت فشهقت في آخر ضحكها فأخذ السيف وحمل عليها وهو يقول

فرقت اني رجل فروق * من ضحكة آخرها شهيق

قال فنادت باخوتها فبادروا فحالوا بينه وبينها ﴿وحكى﴾ أبو حاتم السجستاني عن الاصمعي قال كان عقيل بن علقمة غيورا وكان الخلفاء

يصاهرونه وكانت له ابنة يقال لها الجرباء فكان اذا خرج الى الشام خرج بها لفرط غيرته فخرج بها مرة وبابن له يقال له عميس فلما كانوا بدير سعيد قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما * على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه أجز يا عميس فقال

فاصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته اجزي يا جرباء فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية * عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال لها ومايدريك أنت مانعت الخمر هذه صفة من قد شربها وأخذ السوط فاهوى نحوها وجاء عميس فحال بينه وبينها فضربه فأوجعه فرماه عميس بسهم فشك فخذيه فبرك فمضوا وتركوه حتى اذا بلغوا أدانى المياه منهم قالوا اللهم اسقطنا جزور النا فادركوه وخذوا معكم الماء ففعلوا فاذا عقيل بارك وهو يقول

ان بنى زملونى بالدم * من يلق أبطال الرجال يكلم

ومن يكن درء به يقوم * شنشنة أعرفها من اخزم

ثم زوجها يزيد بن عبد الملك وقد ذكرنا خبره فيما مضى ﴿قال﴾ ومما يحدث الهوى فى قلوب النساء لغير أزواجهن ويدعوهن الى الحرص على الرجال والطلب لهن أمور منها ان يظهر لها زوجها شدة الحذر عليها والاحتفاظ بها والغيرة فى غير موضعها أو يكون الرجل منهمكا فى الفساد مظاهرا لها بالزنا فان ذلك مما يغريها بطلب الرجال والحرص عليهم كما قال الشاعر

ما أحسن الغيرة فى حينها * وأقبح الغيرة فى كل حين

من لم يزل متهما عرسه * متبعا فيها لرجم الظنون

أوشك ان يغريها بالذى * يخاف أو ينصبها للعيون

حسبك من تحصينها ضمها * منك الى عرض نقى ودين

لا تطلع منك على ريبة * فيتبع المقرون حبل القرين

﴿ذكر الشعبي﴾ ان عبد الله بن رواحة أصاب جارية له فسمعت به امرأته فأخذت شفرة فأتته حين قام وقالت له أفعلتها يا ابن رواحة فقال ما فعلت شيأ فقالت لتقرأن قرآنا والا بعجتك بها قال ففكرت في قراءة القرآن وأنا جنب فهبت ذلك وهي امرأة غيرا وفي يدها شفرة لا آمن ان تأتي بما قالت فقلت

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قال فالقت السكين من يدها وقالت آمنت بالله وكذبت البصر قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فضحك وأعجبه ما صنعت (وكان) بعض العلماء لشدة شهوة الباه في قلوب النساء وتمكنه فيهن وشدة غيرته يقول ليس المصيبة في معاتبة الرجل المرأة انما المصيبة في معاتبتها اياه فانها ان نظرت اليه ووقع بقلبها موقع شهوة لم يلبث ان تصير في يده وتبعث الرسائل والاشعار والتحف ﴿قال اسحق﴾ رأيت رجلا بطريق مكة تعادله في المحمل جارية قد شد عينيها والغطا مكشوف ووجهها باد فقلت له في ذلك فقال انما أخاف عليها من عينيها الا من عيون الناس ﴿وقال سعيد بن سليمان﴾ لان يرى حرمتي ألف رجل على حال يكشف منها ولا تراهم أحب الي من ان ترى حرمتي رجلا واحدا غير منكشف ﴿واستأذن﴾ ابن أم مكتوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده امرأتان من نسائه فقال لهما قوما وادخلا البيت فقالتا يا رسول الله هو أعمى فقال أفعميا وان أنتما

﴿باب من هذا الشكل﴾

وبالرجال أعظم حاجة الى ان يعرفوه ويقفوا عليه وهو الاحتراس من ان يلقي الخبر السابق الى السمع لانه اذا ألقي دخل ذلك الخبر السابق الى مقره

دخولا سهلا وصادفه موضعا وطيا وطبيعة قابلة ومتى صادف القلب كذلك رسخ رسوخا لا حيلة فى ازالته ومتى ألقى الى الفتيات شئ من أمور الفتيان فى وقت الغرارة وعند غلبة الطبيعة وشباب الشهوة وعند قلة الشواغل قوى استحكامه وصعبت ازالته وكذلك متى ألقى الى الفتيان شئ من أمورهن وهناك سكر الشباب فكذلك يكون حالهم وان الشياطين ليخلو أحدهم بالغلام العزيز فيقول له لا يكن الغلام فتى أبدا حتى يصادف فتى فالماء البارد العذب باسرع فى طباع العطشان من كلمته اذا كان الغلام أدنى هوى فى الفتوة وكذلك اذا خلت العجوز بالجارية الحديثة ﴿وقيل﴾ لابنة الحسن لم زنيت بعبدك ولم تزن بحر وما أغراك به قالت طول السواد وقرب الوساد ولوان اقبح الناس وجها وأخبثهم نفرا وأسقطهم همة قال لامرأة قد تمكن من كلامها وأعطته سمعها والله ياسيدتى ويامولاتى لقد أتعبت قلبى وأرقت عينى وشغلتنى عن مهم أمرى فما أعقل أهلا ولا مالا ولا ولدا لنقض طباعها وفتح عقدها ولو كانت أبرع الخلق جمالا وأكملهم كمالا وانما قال عمر رضى الله عنه اضربوهن بالعرى لان الثياب هى الداعية الى الخروج فى الاعراس والقيام فى المناجاة والظهور فى الاعياد فمتى كثر خروجها لم يعدمها أن ترى من هو من شكل طبعها ولو كان بعلها أتم حسنا والذى رأت أنقص حسنا لكانت بما لا تملكه أطرف مما تملكه وكانت بما لم تملكه وتستكثر منه أشد الوجد وهى به أشد استمتاعا لا كما قال وللعين ملهى فى البلاد ولم يقد * هوى النفس شيا كاقتياد الطرائف ﴿وقيل﴾ لعقيل بن علقمة أما تخاف على بناتك وقد عنسن ولم تزوجهن قال كلا اجوعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا ينظرن فوافقت احدى كلمتيه قول النبى صلى الله عليه وسلم ووافقت الاخرى قول عمر رضى الله عنه فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الصوم وجاء وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اضربوهن بالعرى قال وكان هرون بن عبد الله البردعى يقول

لاهله محرم عليكم ان نظرت الى سائل يقف ببابك وسمعت حلاوة نغمته وكان ينهى الباعة اذا دخلوا اسكنه عن النداء على بضائعهم ورأيته مرة يضرب عطارا سمعه يترنم بوصف العطر وكان ينفق بضاعته حسن صوته فيقول العود المطرى والمحلب واللبان والمسك والعنبر ويردد ذلك بصوته فيرجعه فكن النساء يستمعن اليه ويشرفن من المطالع ويتبعن الابواب حتى تصل عيونهن الى النظر اليه ولو أردن السماع لكفتهن الآذان وربما اشترين منه مالا يحتجن اليه قال فقلت له يا أبا وائل فانك قد أنعم الله بشئ كنت تمنعه قال جعلت فداك انما أمنع منعى لنفسى لئلا يسمعه من فى منزلى فان النساء أسرع شئ ذهاب قلوب الى النغمة الحسنة فان كان معه حسن وجه برئت المرأة من الله ان لم تحتل فى صرف قلبه اليها ويصير الزوج فوادا قلت لا ولا كل هذا قال فاسألك الا سألته ان يستعمل هذا الكلام مرة أومرتين أوثلاثا فى غير هذه السكة فذهبنا به الى غيرها وجعل العطار ينادى فما أتم الثالثة حتى تحركت أكتافى له طربا وجعلت لا آمر ولا أجىء لما سكرت من حسن صوته فقال كيف تراه قلت أراه يستولى على قلوب الرجال قال فكم قلب الرجل على ترك التهتك من قلب المرأة هذا اذا كانت بلغت من السن مبلغا ونقصت شهوتها فاما اذا كانت شابة ولها فضل جمال ومعها شدة شهوة وكثرة لذة وهى ذات حاجة وخالية الذرع من الفكرة فى المعاش وخالية القلب وقد أمنت ضرب الزوج وتطليقه وغيرة الاخ وقلة صيانة الاب وأصابت من يشجعها على فعلها ويفتح لها أبواب نظرتها ويسعى لها فى طلب الصديق ويحرضها على التهتك وقد قرب منها الصوت وخلت من الرقيب ولم يكن لها فى الارض اشراف ولا أهل عفاف فما يعرق السهم من الرمية كمروق هذه الى الباطل ﴿ كانت هند بنت المهلب ﴾ من عقلاء النساء وكانت تقول شيا ٓن لا تؤمن عليها المرأة الرجال والطيب وأنشد اسحق ابن ابراهيم

ولما رمت بالطرف غيرى حسبتها * كما أثرت فيه تؤثر فى قلبى
وانى بها فى كل حال لواثق * ولكن سوء الظن من شدة الحب

﴿وأنشد آخر﴾

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما فى الرجال على النساء أمين
كل الرجال وان تعفف جهده * لا بد أن بنظرة سيخون

(وقال) كان عبد السلام بن رغبان المشهور بديك الجن شاعراً أديباً ذا همة حسنة وكان له غلام كالقمر وجارية كالشمس وكان يهواهما جميعا فدخل ذات يوم فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله فشد عليهما فقتلهما جميعا ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلا وقال

يا طلعة طلع الحمام عليها * فجنى لها ثمر الردى بيديها
حكمت سيفى فى مجال خناقها * ومدامعى تجرى على خديها
رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتى من شفتيها
فوحق نعلها وما وطئ الحصى * شئ أعز على من عينيها
ما كان قتلها لانى لم أكن * أبكى اذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على الانام بحسنها * وأنفت من نظر العيون اليها

ثم جلس عند رأس الغلام يبكى

أشفقت ان يرد الزمان بغدره * او أبتلى بعد الزمان بهجره
قمراً انا استخرجته من دجنه * لمودتى وجلوته فى خدره
فقتلته وبه على كرامة * فلى الحشا وله الفؤاد باسره
عهدى به ميتا كأحسن نائم * والطرف يسفح دمعتى فى نحره
لو كان يدرى الميت ماذا بعده * بالحى منه بكى له فى قبره
غصص تكاد تفيض منها نفسه * ويكاد يخرج قلبه من صدره

﴿وأنشد الرازى﴾

أما واهتزازك لو استطيع * لما لحظ الناس بدر التمام
ومن أين للبدر وجه يميت * ويحيى اذا شاء بالابتسام

فهبه حكاك بحسن الضيا * فمن أين للبدر حسن القوام
أغار على حسنه اذ حكا * ك وكان بذلك عند الانام

﴿وأنشد لابي تمام﴾

بنفسي من أغار عليه مني * وأحسد مقلة نظرت اليه
ولو اني قدرت طمست عنه * عيون الناس من حذري عليه

﴿وأنشد الآخر﴾

أغار عليك من قلبي * ولو أعطيتني أملي
وأشفق ان أرى خديك نصب مواقع القبل

﴿ويروى﴾ ان جميل بن معمر قال لبثينة ما رأيت مصعب بن الزبير يخطر بالبلاط الا أخذتني عليك الغيرة ﴿وعن علي بن عبد الله الجعفري﴾ وكان شاعرا أديبا قال كنت أجلس بالمدينة وأنشد أشعاري فخرج أبو نواس فلما صار الى المدينة وأنا ذات يوم أنشد والناس مجتمعون علي اذ دخل أبو نواس فرأيته من بين الناس ثم قال يا هذا ألا تنشد بيتيك اللذين تكشحت فيهما فقلت وما هما قال اللذان تقول فيهما

ولما بدا لي أنها لا تحبني * وان هواها ليس عني بمنجلي
تمنيت أن تبلى بغيري لعلها * تذوق حرارات الهوى فترق لي

قلت أفلا أنشدك بيتي اللذين أتغاير فيهما قال بلى فانشدته

ربما سرني صدودك عني * وطلابيك وامتناعك مني
حذرا أن يكون مفتاح غيري * فاذا ما خلوت كنت التمني

قال فسألت عنه فقيل لي أبو نواس ﴿قال الاشعث بن قيس﴾ نزلت ببعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقام الى امرأته فضربها فحجزت بينهما قال فرجع الى فراشه وقال يا أشعث احفظ شيأ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسأل رجلا فيم يضرب امرأته ﴿وقال ابن عائشة﴾ كان أبو الاصبع العدواني غيورا وكان له أربع بنات فأبى ان يزوجهن فقالت واحدة منهن لتقل كل واحدة منا ما في نفسها فقالت

كبراهن

ألا ليت زوجي من اناس ذوي غنى * حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق باكباد النساء كانه * خليفة جار لا يقيم على الهجر

قلن لها أنت تريدين شابا غنيا ﴿وقالت الثانية﴾

عظيم رماد القدر رحب فناؤه * له جفنة يشقى بها النيب والجزر
له خلقان الشيب من غير كبرة * تشين ولا وان ولا ضرع غمر

فقلن لها أنت تريدين سيدا ﴿وقالت الثالثة﴾

الا هل تراها مرة وخليلها * يشم كنصل المشرفي المهند
عليه رواء اليسار ورهطه * اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها أنت تريدين ابن عمك قد عرفتيه وقلن للصغرى ماتقولين أنت فقالت لا أقول شيأ فقلن لها لن ندعك لانك اطلعت على أسرارنا وكتمت سرك فقالت لا أدري ما أقول الا انه زوج من عود خير من قعود قال فخطبن فزوجهن جميعا ﴿وروى﴾ عن سليمان بن داود عليهما السلام انه قال لابنه يا بني لا تكثر الغيرة على أهلك من غير ريبة فترمى بالسوء من أجلك وان كانت بريئة ﴿وقال بعض الظرفاء﴾ كنت شديد الغيرة فاخبرت بمجيء قبيحة سوداء فذهبت مع اخوان لي عندها الليلة فطفئ السراج فضربت بيدي الى صدرها فاذا دون يدي أربع أيدي فما أعلم اني خطر ببالي امرأة بعد ذلك ﴿قال﴾ كان سليمان بن عبد الملك من أشد الناس غيرة فحكى أبو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو على دكان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاصفر في وسط بستان قد أينعت ثماره ورنت أطياره وازهرت نبت الربيع وعلى رأسه وصائف كل واحدة أحسن من صاحبتها فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وكان سليمان مطرقا فرفع رأسه فقال أبازيد في مثل هذا اليوم يصلب أحد حيا فقلت يا سيدي يا أمير المؤمنين أوقد قامت القيامة قال نعم على أهل الهوى سرا ثم أطرق ورفع رأسه

وقال أبازيد ما يطيب فى يوم ما هذا فقلت قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولنيها مقدودة هيفاء مضمومة لفاء دعجاء أشرب بها من كفها وأمسح فى بفمها فاطرق سليمان مليا ودموعه تنحدر فلما رأى الوصائف ذلك تنحين عنه فرفع رأسه وقال يا أبازيد حللت والله فى يوم فيه انقضاء أجلك وتصرم مدتك وفناء عمرك والله لاضربن عنقك أو تخبرنى ما الذى أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم يا أمير المؤمنين كنت جالسا على باب أخيك سعيد بن عبد الملك واذا جارية قد خرجت الى باب القصر عليها قميص اسكندرانى يبين منه بياض ثديها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها ولها ذؤابة تضرب الى حقويها وتسيل كالعثاكيل على منكبيها وطرة قد أسبلت على جبينها ولها صدغان كأنهما نونان على وجنتيها وحاجبان قد تقوسا على محجرى عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة در وهى تقول عباد الله ما الدواء لما لا يشتكى والعلاج مما لا ينتمى طال الحجاب وأبطأ الكتاب العقل ذاهب واللب عازب والعين عبرى والارق دائم والوجد موجود والنفس والهمة والفؤاد مختلس فرحم الله قوما ماشوا تجلدا وماتوا تبلدا لو كان فى الصبر حيلة والى العزاء وسيلة لكان أمرا جميلا فقلت أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أو أرضية فقد أعجبنى ذكاء عقلك وأذهلنى حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترنى وقالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الوجد بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله يا أمير المؤمنين ما أكلت طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج فى عينى لحسنها فقال سليمان أبازيد كاد الجهل يستفزنى والصبا يعاودنى والحلم يعزب عنى تلك الذلفاء التى يقول فيها الشاعر

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخى ألف ألف درهم وهى عاشقة لمولاها الذى باعها منه

والله لا مات الا بحسرتها ولا فارق الدنيا الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت نهية قم أباز يد فاكتم المفاوضة وياغلام ثقل يده ببدرة قال فلما هلك سعيد بن عبد الملك صارت الجارية الى أخيه سليمان ولم يكن في عصرها أجمل منها فملكت قلبه وغلبت عليه دون سائر جواريه فخرجا يوما الى دهناء الغوطة بموضع يقال له دير الرهبان فقرب فسطاطه في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق وبهجة حفها أنواع الزهر الغض فمن بين أصفر فاقع وأبيض ساطع مثل النبات تحمل منه الريح نسيم المسك الاذفر وتؤدي تضوع عرفها فتيت العنبر وكان له مغن يأنس به ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ويستمع حديثه يقال له يسار وكان أحسن الناس وجها وأظرفهم ظرفا فأمر بضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى تلك المنتزه فلم يزل يسار يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور وأتم حبور الى ان أتى الليل وحان انصراف يسار الى موضعه فوجد جماعة قد أناخوا به فسلموا عليه فرد عليهم سلام جذلان بنزولهم وفرح بدخولهم فاحضر الطعام فاكلوا وقدم الشراب فنالوا منه ثم قال هل من حاجة قالوا ما جئناك الا للقرى فقال بالجانب الخصب نزلتم وبالمنزل الرحب حللتم فقالوا اله أما الطعام فقد أكلنا وأما الشراب فقد حضر وبقي السماع قال اما السماع فلا سبيل اليه مع غيرة أمير المؤمنين ونهيه اياي عن الغناء الا ما كان في مجلسه قالوا فلا حاجة لنا في الطعام عندك مالم تسمعنا فلما رآهم غير موقلين عنه رفع عقيرته وغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * في آخر الليل حتى ملها السهر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت ينحدر
في ليلة البدر لا يدري مضاجعها * أوجهها عنده أضوا أم القمر
لو خليت لمشت نحوي على قدم * يكاد من لينه للمشي ينفطر

قال فلما سمعت الذلفاء صوت يسار خرجت الى صحن الفسطاط تسمع

الصوت فجعلت لا تسمع شيأ من خلق ولطافة قد الا الذي وافق المعنى ومن نعت الليل واستماع الصوت الا رأت ذلك كله في نفسها فحرك ذلك ساكنا كان في قلبها فهملت عيناها وعلا نشيجها فانتبه سليمان فلم يجدها معه في الفسطاط فخرج الى صحنه فرآها على تلك الحال فقال لها ما هذا يا ذلفاء فقالت يا أمير المؤمنين

الا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد

يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر يا غلام على بيسار فدعت الذلفاء خادما لها وقالت ان سبقت الى يسار فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر فسبق رسول سليمان فاحضره فلما وقف بين يديه وسليمان يرعد غيرة قال من أنت فقال يسار فقال سليمان

تشكل في الشكل يسار امه * كان لها ريحانة تشمه

وخاله يشكله وعمه * ذو شفة حياته تغمه

فقال يسار

واستبقني الى الصباح اعتذر * ان لساني بالشراب منكسر

فان اكن اذنبت ذنبا أو عثر * فالسيد المولى أحق من غفر

ثم قال يا يسار ألم أنهك عن مثل هذا الفعل فقال يا أمير المؤمنين حملني الثمل وقوم طرقوني وأنا عبد أمير المؤمنين فان رأى أن لا يضيع حظه مني فليفعل قال أما حظي منك فلم أضيعه ولكن لا تركت للنساء فيك حظا أبدا يا يسار اما علمت ان الرجل اذا تغنى أصغت اليه المرأة وان الفرس اذا صهل تودقت له الحصان وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة يا غلام ائتني بحتان فختنه فعاش بعد ذلك سنة ومات فسمى الدير دير الخصيان وبه يعرف الى الآن وكتب الى عثمان بن حيان المري عامله على المدينة ان اخص من قبلك من المغنين فخصى الدلال فقال الآن صرنا نساء حقا وادعى بعض بني مروان ان عامل المدينة صحف واغار أي في

انهكتاب احص من قبلك فقال الكاتب الذى قرأ الكتاب كيف تقولون ذلك ولقد كانت الخاء معجمة بنقطة كأنها سهيل ﴿قال اسحق بن ابراهيم الموصلى﴾ قيل لعقيل بن علقمة وكان شديد الغيرة وأراد سفرا ابن غيرتك على من تخلف قال اخلف معهن الجوع والعرى فانهن اذا جعن لم يمزحن واذا عرين لم يبرحن (وعن) المغيرة بن شعبة ان سعد بن عبادة قال لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربت رأسه بالسيف فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تعجبوا من غيرة سعد فوالله انى لاغير من سعد والله أغير منى من أجل ذلك حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن فقال يا أبا ثابت أكنت ضاربه بالسيف قال نعم والذى نزل عليك الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا ولم يتمها أراد شاهدا ثلا يبالغ فيه الغيران والسكران ﴿قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة﴾ كان امرؤ القيس ابن حجر مئناثا لا يولد له ذكر وكان غيورا شديد الغيرة فاذا ولدت له بنت قتلها فلما رأين نساؤه ذلك غيبن بناتهن فى احياء العرب وبلغه ذلك فركب راحلته وخرج مرتادا لهن حتى أناخ على حى من احياء العرب واذا جوار مجتمعات فقال أيتكن تجيز لى هذا البيت ولها راحلتى فسكتن عنه وقالت ابنته هات فأنشأ يقول

تبلت فؤادك اذ عرضت عشية * بيضاء بهنكة عليها اللؤلؤ

قال فسكتت ساعة ثم قالت

لعقيلة الادحى بات يحفها * كنقا الظليم وزال عنها الجؤجؤ

فضربها بالسيف فقتلها وسار حتى نزل بحى آخر فاذا بجوار يلعبن فقال ايتكن تجيز لى هذا البيت ولها راحلتى فسكتن عنه وقالت ابنته هات فقال

اذا بركت نعالى مرفقاها * على مثل الحصير من الرخام

فسكتت ساعة ثم قالت

وقاموا بالعصى ليضربوها * فهبت كالغنيق من النمام

قال فقتلها ثم سار حتى نزل الى حى آخر فاذا بجوار يلعبن فقال أيتكن

تجيز لى هذا البيت ولها راحلتى فسكتن عنه وقالت ابنته هات فقال

وكأنهن نعاج رمل هائل * بدف يعدن كأعيد الشارب

فسكتت ساعة ثم قالت

بل هن أقرب فى الخطا من خطوها * ان الخرائد مشيها متقارب

قال فنزل اليها فقتلها وسار (نزل اعرابى) من طى يقال له المثنى بن معروف بابى جبر الفزارى فسمعه يوما يقول لوددت انى بت الليلة خاليا ببنت عبد الملك بن مروان فقال له المثنى أحلالا أم حراما فقال ما أبالى قال فوثب اليه فضرب رأسه برحى له فشجه ثم ارتحل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * على النأى انى قد وترت أبا جبر

نشرت على اليافوخ منه رحاله * لنصرى أمير المؤمنين ولا يدرى

وما كان شئ غير انى سمعته * ينادى نساء المؤمنين بلا مهر

قال فبلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأهدر دم أبى جبر وبعث الى المثنى بصلة جزيلة (وعن عبد الملك بن عمير) قال كانت هند بنت النعمان بن بشير الانصارى عند روح بن زنباع وكانت امرأة فصيحة أديبة برزة وكان روح رجلا غيورا فرآها ذات يوم مشرفة على وفد من جذام فجعل يضربها ويقول أتشرفين وتنظرين الى الرجال قالت ويحك وهل أرى الاجذاميا والله ما أحب منهم الحلال فكيف الحرام فقال روح فى ذلك

أثنى عليك بان باعك ضيق * وبان أصلك فى جذام ملصق

وفيه تقول هند

وهل أنا الا مهرة عربية * سليلة أفراس تحللها بغل

فان نتجت حرا كريما فبالحرا * وان يك اقراف فما أنجب الفحل

فقال لها روح اللهم ان مت قبلها فابتلها بزوج يلطم وجهها ويقئ فى حجرها ومات روح بن زنباع وتزوجها بعده محمد بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى وكان شابا جميلا اشر ابا للخمر فاحبته حبا شديدا فكان يلطم

وبهاويقيء في حجرها فقالت رحم الله أبازرعة فقد استجيبت دعوته وأنشدت للخزيمي * ما أحسن الغيرة في حينها * الى آخر الابيات المتقدمة وقال الشنفرى

اذا ما جئت ما أنهاك عنه * ولم أنكر عليك فطلقيني
فأنت البعل يومئذ فقومي * بسوطك لا أبالك فاضربيني

﴿نزل﴾ عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خيمته بقديد بفناء بيت من بيوت قديد وهو يريد مكة معتمرا فحط رحله وكان رجلا جسيما من أعظم الناس بدنا وأحسنهم وجها فأرسلت اليه ربة البيت يا هذا ان لي زوجا غيورا عمرا لا انسان بجانب بيتي فيضربني وان رآك في هذا المنزل لقيت منه شرا فانشدك الله الا تحولت عني فأرسل اليها اني قد نزلت وأنا مرتحل عن قليل وليس عليك من زوجك بي بأس والتحول يشق علي قال فرددت اليه الرسول حتى تحول عنها ومرت به عجوز خارجة من عندها فدعاها وسألها عن المرأة فقالت هي خردية بنت أكتم وتزوجها ربيع بن أصرم ولها ابنى صغير سمته باسم أبيها ثم ذهبت العجوز وقال عاصم بن عمر أبيات شعر ثم دخل زوجها واستقر في منزله فلما فرغ من شعره سمعه وهو يضربها فصبر حتى علم انه شفى غيظه ثم انه أتاه فصاح به فخرج فقال له بابي أنت ما عرضك لي فأخبره خبره وخبرها فقال بأبي أنت لو كنت معي في منزلي ما كان علي منك بأس ﴿قال كان عقيل﴾ ابن علقمة من الغيرة والانفة على ما ليس عليه أحد علماه فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه فقال أما اذا كنت فاعلا فجنبني هجناءك وخطب عقيل وقال

ردت صحيفة القرشي لما * أبت اعراقه الا احمرارا

(علي بن سليمان الاخفش) قال قال ابن الكلبي كان لقمان بن عاد حكيم العرب غيورا فبنى لامرأته صرحا وجعلها فيه فنظر اليها رجل من الحي فعلقها فأتى قومه فأخبرهم وجده بها وسألهم الحيلة في أمره فأمهلوه حتى أراد لقمان الغزو فعمدوا الى صاحبهم وشدوه في حزمة سيوف

وأتوا الى لقمان فاستودعوها اياه فوضع السلاح في بيته فلما مضى تحرف الرجل في السيوف فقامت اليه المرأة تنظر فاذا هي برجل فشكى اليها حبه اياها فامكنته من نفسها فلم يزل معها مقيما حتى قدم لقمان فردته في السيوف كما كان وجاء قومه فاحتملوه وان لقمان نظر يوما الى نخامة في السقف فقال من تنخم هذه فقالت أنا قال فتنخمي فقصرت فقال ياويلتاه والسيوف دهتني فقتلها ثم نزل فلقي ابنته صحرا صاعدة فأخذ حجرا فهشم رأسها فماتت وقال أنت أيضا امرأة فضربت العرب بذلك المثل فكان يقول المظلوم منهم ما أذنبت الا ذنب صحر ﴿ولي﴾ عمر بن الخطاب رضي الله عنه النعمان بن نضلة العدوي ميسان وأراد رحيل امرأته معه فأبت ذلك وكرهته فلما وصل الى ميسان أراد ان يغيرها فترحل اليه فكتب اليها

ألا هل أتى الحسناء ان خليلها * بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية * وصاحبه يحثو على خد مبسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني * ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا في الجوسق المتهدم

فبلغت الابيات عمر بن الخطاب فقال اي والله وأبي وأبيك يسوءني ياغلام اكتب بعزله فلما قدم على عمر بكته بهذا فقال يا أمير المؤمنين ما شربتها قط ولا قلت الابيات الا بسبب كذا فقال عمر أظن ذلك ولكن لا تعمل لي عملا أبدا ﴿ضرب﴾ البعث على رجل من أهل الكوفة فخرج الى اذربيجان فاشترى فرسا وجارية وكان مملكا بابنة عمه فكتب ليغريها

ألا بلغا أم البنين بأننا * غنينا وأغنتنا الغطارفة الجرد
بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا الايام الغد وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد كتابه دعت بالدواة وكتبت اليه

اذا شئت غناني غلام مرجل * ونازعته في ماء معتصر الورد

وان شاء منهم ناشئ مدّ كفه * الى كبد ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد
فعجل علينا بالسراح فانه * منانا ولا ندعو لك الله بالرد
ولا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد كتابها لم يزد على ان ركب الفرس وأردف الجارية ولحق بها فكان أول شئ بدأها به ان قال لها بالله أكنت فاعلة ما قلت فقالت الله فى قلبي أعظم وأجل وأنت فى عيني أحقر وأذل من ان أعصى الله فيك ثم قالت له كيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية ورجع الى مكانه (قالت) هند بنت بشر لزوجها روح بن زنباع وكان شديد الغيرة عجبا منك كيف يسودك قومك وفيك ثلاث خصال أنت من جذام وأنت جبان وأنت غيور فقال لها أما جذام فانى فى أرومتها وأما الجبن فانما لى نفس واحدة فأنا أحفظها ولو كانت لى نفس أخرى لجدت بها وأما الغيرة فحقيق لمن كانت له امرأة حمقاء مثلك ان يغار عليها مخافة ان تجيئه بولد من غيره فتقذف به فى حجره (حكى) دعبل بن على قال عبث عطار اسمه فيروز بامرأة من الشام تسومه عطرا فعلقت بقلبه فقعد لها على طريقها فلما أضجرها قالت والله لو ان عبد الله بن سيرة بقربى ما طمعت فى هذا منى فبلغت عبد الله بن سيرة هذه الكلمة وهو فى البعث بأرمينية فترك مركزه وأقبل لا يلوى على أحد حتى وقف ببابها ليلا وكان يوصف بشدة الغيرة فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها أيتها المرأة من هذا الذى عبث بك حتى تمنيت انى بقربك قالت رجل عطار قال لها فما ابتى قالت لا قال لها فعديه الليلة القابلة وانى أسبقه الى بيتك فبعثت اليه تقول له اذ أبيت الا ما تريد فهلم الى بيتى الليلة عندى فاقبل اليها وقد سبقه ابن سيرة فلما دخل وثب عليه وضربه ضربة رمى برأسه ثم قتل خادمها وقال لها انما قتلته لئلا يطلع على الخبر أحد من الناس ثم ناولها مائة دينار وقال لها اشترى بها خادما وانفقى باقيها على نفسك ثم قال هلى فأسا فقلع رأس

البالوعة ثم جرجما فألقاهما فيها ثم سوى رأس البالوعة وقال للمرأة اظهري
ان الخادم قد أبق ثم خرج ولم يعلم به أحد ولم يأت منزله حتى قدم أرمينية
وقال في ذلك

ان المنايا للغيران لمعرضة * يغتاله النحر أو يغتاله الاسد
أو عقرب أو شجى في القلب معترض * أو حية في أعالي منتهى الزبد

﴿كانت لابن الدمينة﴾ امرأة يقال لها حما وكان مزاحم بن عمر السلولي
يأتيها و يتحدث اليها فنعها ابن الدمينة من ذلك فاشتد ذلك عليه فقال ابن
مزاحم عند ذلك يذكرها

يا ابن الدمينة والاخبار تحملها * وخد النجائب تبديها وتنميها
أمارة كية مابين عانتها * وبين سرتها الاشك كاويها

فلما بلغ ابن الدمينة ذلك عرف العلامة التي في زوجته وعلم انه لم يرذلك
منها الا وقد أفضى اليها فأتى امرأته فقال قد بلغني غشيان مزاحم اليك
وقد قال فيك ماقال فأنكرت ذلك وقالت والله مارأى ذلك الموضع قط
قال فما أعلمه بعلامتك التي وصفها قالت النساء رأين ذلك اذ كنت
جاراتهن فتحدثن به فسمعه مزاحم وتغافل ابن الدمينة عن مزاحم حتى
ظن انه قد ذهب من قلبه ثم قال لامرأته لئن لم ترسلي اليه الليلة يأتيك
في موضع كذا لاقتلنك فأرسلت اليه انك قد سمعت بي ولا أحب ان
يأتيني وأنا آتيك في موضع كذا فقعد في الموضع ابن الدمينة وأصحابه
وجاء مزاحم وهو يظن انها في الموضع الذي وعدته فخرجوا اليه وأوثقوه
وصروا صرة من رمل في ثوب وضربوا بها كبده حتى مات واحتملوه حتى
أتوا به ناحية دور قومه فطرحوه بها وجاء أهله فأخذوه ولم يجدوا به أثر
سلاح فعلموا ان ابن الدمينة قتله ورجع ابن الدمينة الى امرأته فقتلها
وقتل ابنة له منها وطلبه السلوليون فلم يجدوه ﴿وحكى الثوري﴾ ان
رجلا من بني عقيل تعلق جارية وأبى أهلها ان يزوجوه اياها وكانت من
أجمل النساء وكان اسمها ليلى فسمع بها رجل موسر من ثقيف يقال له

حارثة

حارثة بن عوف فقدم على أهلها وأرغبهم فزوجوه وظعن بها فقال العقيلي الذي كان تعلقها

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * تقطع الا من ثقيف وصالها

كأن مع الركب الذين تحملوا * غمامة صيف زعزعتها شمالها

ثم اشتد شوقه وزاد ولعه فخرج فى أثرها حتى قدم الطائف فانتسب انه أخ لها وصدقت هى فأدخله زوجها وذبح له ونحر وكان صاحب خمر فجاس هو والثقفى يشربان وهى تسقيهما فلما أخذت الخمر فى العقيلى باح بسره فلما سمعه الثقفى هم به ثم غلبه السكر فخرج العقيلى تحت الليل وتبعه الثقفى با كلب له عقر فأدركه وقد شارف بلاد بنى كليب وقد غلبه المشفات فخلى أكلبه على جيفته فأكلته فسمعت بذلك الكلابيون فرحلوا فى أثر الثقفى فأدركوه فقتلوه وخلوا عليه أكلبه فأكلته وسمع العقيليون بخبر الرجلين فركبوا الى المرأة فطرقوها فى منزله فقتلوها ورحلوا فوثبت عليها أكلب زوجها فأكلتها فقال جار الثقفى

لعمرى لقد ساق العقيلى حتفه * وما خبر ليلى كان عنها ببعد

وخبر الفتى القيسى قد سيق نحوه * وأمسى مقيما بين أضلاع أزبد

أقاموا جميعا رهن أجواف أكلب * كذلك أمر الله فى اليوم والغد

(ويروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الغيرة من الايمان وأيما رجل حس بشئ من الفجور فى أهله فلم يغيره الا بعث الله اليه ملكا يقول له غير أربعين يوما فان لم يفعل مسح بجناحه على عينيه فان رأى حسنا لم يدره وان رأى قبيحا لم ينكره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كتب الجهاد على رجال أمتى والغيرة على نسائها فمن صبرت منهن واحتسبت أعطاها الله أجر الشهيد وعن على عليه السلام انه قال من أطاع امرأته فى أربع كبه الله فى النار على وجهه ان يطيعها فى أن تذهب الى العرسات والى المعلمات والى الحمامات والى الجنائز وقال الاحوص يتشبب بام جعفر الحطمية

أدور فلولا ان أرى أم جعفر * بابياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت دوارا ولكن ذا الهوى * اذا لم يزر لابد ان سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر * وانى الى معروفها لفقير

فاستعدى أيمن أخوها عليه عامل المدينة وكان أيمن جسيما ضخما وكان الاحوص نحيفا فدفع الى كل واحد منهن سوطا وقال لخالد اضرب الاحوص فقال بعض الشعراء

لقد منع المعروف من أم جعفر * أخو ثقة عند الحفاظ صبور
علاك بمتن السوط حتى لقيته * باصغر من ماء الصفاق يفور

قال الأحوص بعد ذلك

اذا أنا لم أغفر لايمن ذنبه * فمن ذا الذى يعفو له ذنبه بعدى
يسيء فأعفو ذنبه فتردنى * أيادى انها مباركة عندى

(تزوج) عبد الله بن يزيد الحنفى امرأة حسناء وكان رجلا ثقيلا جسيما ظريفا فاحبها حبا شديدا وكان من أشد الناس غيرة فدعاه حبه لها وشدة غيرته عليها ان خرج بها الى بعض البوادى فابتنى لها قصرا وسكن به وأقام معها مدة (وخرج) عمرو بن سعيد العبدى يريد سفرا له فأخذته السماء فى بعض الطريق فنظر فاذا هو بقصر عظيم فعدل اليه وقرع بابه فخرج اليه عبد الله بن يزيد فعرفه فسلم عليه وأنزله وهيأ له طعاما ثم دعا بشراب من خمر عتيق فبينما هما يشربان اذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاما شابا وسكر زوجها سكرا شديدا فخرجت المرأة الى عمرو بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته الى نفسها فأبى وقال ما كنت بالذى أفعل برجل آتانى منزله ولم يزل يداعبها حتى أفاق عبد الله بن يزيد من سكره فأنشأ عمرو يقول

رب بيضاء خصرها ينثنى * قد دعتنى لوصلها فأبيت
لم يكن شأنى العفاف ولكن * كنت ندمان زوجها فاستحييت

فعلم عبد الله بن يزيد ما أراد فلما انصرف عمرو بن سعيد عمد عبد الله الى

المرأة فجعل في عنقها حبلا وعلقها به الى السقف فاضطربت حتى ماتت وعلم ان النساء لا حفظ لهن وآلى على نفسه انه لا يتزوج امرأة أبدا وترك قصره وعاد الى منزله ﴿وقال الفضيل بن الهاشمي﴾ كنت مع ابنة عمي نائما على سرير اذ ظهرت الى بعض جواري فنزلت فقضيت حاجتي ثم انصرفت فبينما أنا راجع اذ لدغتني عقرب فصبرت حتى عدت الى موضعي من السرير فغلبني الوجع فصحت فقالت لي ابنة عمي مالك قلت لها لدغتني عقرب قالت وعلى السرير عقرب قلت نزلت لا بول فأصابتني ففطنت فلما أصبحت جمعت خدمها واستحلفتهن ان لا يقتلن عقربا في دارها الى سنة ثم قالت

اذا عصى الله في دارنا * فان عقاربينا تغضب

ودار اذا نام حراسها * أقام الحدود بها العقرب

(قالوا) وبينا ابن أبي ربيعة في الطواف اذ رأى جارية من أهل البصرة فأعجبته فدنا منها فكلمها فلم تلتفت اليه فلما كان في الليلة الثانية عاودها فقالت له اليك عني أيها الرجل فانك في موضع عظيم الحرمة وألح عليها وشغلها عن الطواف فأتت زوجها فقالت له تعال معي فأرني المناسك فأقبلت وهو معها وعمر جالس على طريقها فلما رأى الرجل معها عدل عنها فقالت

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقي مربض المستأسد الحامي

فحدث المنصور هذا الحديث فقال وددت انه لم تبق فتاة من قريش في خدرها الا سمعت هذا الحديث ﴿وكان﴾ عمارة بن الوليد بن المغيرة بن الوليد سيف الله من فتيان قريش جمالا وشعرا وهو الذي جاءت به قريش الى أبي طالب قالوا هذا عمارة قد عرفت حاله فخذه بدل ابن أخيك محمدا وأعطنا محمدا نقتله فقال لهم أبو طالب ما أنصفتموني تعطوني ابن أخيكم أحفظه وأعطيكم ابن أخي تقتلوه وبعثت قريش عمارة بن الوليد وعمرو ابن العاصي الى النجاشي في أمر من قدم اليه من المهاجرين فلما كانوا

السفينة ومع عمرو امرأته أم عبد الله فقال لها عمارة قبليني فقال لها عمرو قبلي ابن عمك وقال عمرو في ذلك

ليعلم عمار ان من شر شيمة * لمثلك ان يدعى ابن عم له ابن ما
أان كنت ذا بردين أحوى مرجلا * ولست تراعى لابن عمك محرما
اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا عاريا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وقعد عمرو على منجاف السفينة لقضاء الحاجة فدفعه عمارة فألقاه في البحر فتخلص حتى كاد يموت فلما صار الى النجاشي أظهر له عمرو انه لم يحفل بما أصابه منه فجاءه عمارة يوما فحدثه ان زوجة الملك النجاشي علقته وأدخلته الى نفسها فلما تبين لعمرو حال عمارة وشى به عند الملك وأخبره خبره فقال له النجاشي ائتني بعلامة أستدل بها على ما قلت فعاد عمارة فأخبر عمرا بأمره وأمر زوجة النجاشي فقال له عمرو لا أقبل هذا منك الا ان تعطيك من دهن الملك الذي لا يدهن به غيره فكلمها عمارة في الدهن فقالت له أخاف من الملك فأبى ان يرضى منها الا ان تعطيه من ذلك الدهن فاعطته منه فأعطاه عمرا الى فجاء به الى الملك فأمر السواحر فنفخن في احليله فذهب مع الوحش فلم يزل متوحشا حتى خرج اليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه فجعل له على الماء شركا فأخذه فجعل يصيح به ارسلني فاني أموت ان أمسكتني فامسكه فمات في يده * عروة ابن الزبير * عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل ان يتزوجني بثلاث سنين لما أسمع من كثرة ذكره اياها وكان يذبح الشاة فيفرقها على صدائق خديجة قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها بالكره مني يا خديجة ما أرى منك وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا أما علمت ان الله زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون قالت

وقد فعل الله ذلك برسوله قال نعم قالت فبالرفاء والبنين

﴿باب ماذكر من وفاء النساء﴾

(حكى الاصمعى) عن رجل من بنى ضبة قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها حتى أتيت بلاد بنى سليم فلما كنت فى بعض أحومها اذا جارية تغشى بصرى اشراق وجهها فقالت ما بغيتك فانى أراك مولها قلت ابل ضلت لى فأنا فى طلبها قالت فتحب ان أرشدك الى من هى عنده قلت نعم قالت الذى أعطاكهن هو الذى أخذهن فان شاء ردهن فاسأله من طريق اليقين لا من طريق الاختبار فاعجبنى ما رأيت من جمالها وحسن منطقها فقلت لها اهل لك من بعل قالت كان والله فدعى فاجاب الى ما منه خلق ونعم البعل كان قلت لها فهل لك فى بعل لا تذم خلائقه ولا تخشى بوائقه فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً فأنشأت تقول

كنا كغصنين من بان غذاؤهما * ماء الجداول فى روضات جنات
فاجتث صاحبها من جنب صاحبه * دهر يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدنى ان خاننى زمن * أن لا يضاجع أنثى بعد موتات
وكنت عاهدته أيضا فعاجله * ريب المنون قريبا مذ سنينات
فاصرف عتابك عمن ليس يصرفه * عن الوفاء له خلب التحيات

قال فانصرفت وتركتها (قال الاصمعى) قال لى الرشيد أمض الى بادية البصرة فخذ من تحف كلامهم وظرف حديثهم فانحدرت فنزلت على صديق لى بالبصرة ثم بكرت أنا وهو الى المقابر فلما صرت اليها اذا بجارية نادى الينار يح عطرها قبل الدنو منها عليها ثياب مصبغات وحلى وهى تبكى أحر بكاء فقلت يا جارية ما شأنك فانشأت تقول

فان تسألانى فيم حزنى فاننى * رهينة هذا القبر يا فتيان
أهابك اجلالا وان كنت فى الثرى * مخافة يوم ان يسؤك مكانى
وانى لاستحييك والترب بيننا * كما كنت أستحييك حين ترانى

فقلنا لها ما رأينا أكثر من التفاوت بين زيك وحزنك فاخبرى بشأنك
فأنشأت تقول

ياصاحب القبر يامن كان يؤنسنى * حياو يكثر فى الدنيا مواساتى
أزور قبرك فى حلى وفى حلل * كأننى لست من أهل المصيبات
فمن رآنى رأى عبرى مفجعة * مشهورة الزى تبكى بين أموات

فقلنا لها وما الرجل منك قالت بعلى وكان يحب ان يرانى فى مثل هذا الزى فآليت على نفسى ان لا أغشى قبره الا فى مثل هذا الزى لانه كان يحبه أيام حياته وأنكرتماه أنتما على قال الاصمعى فسألتها عن خبرها ومنزلها وأتيت الرشيد فحدثته بما سمعت ورأيت حتى حدثته حديث الجارية فقال لا بد ان ترجع حتى تخطبها الى من وليها وتحملها الى ولا يكون من ذلك بد ووجه معى خادما ومالا كثيرا فرجعت الى قومها فأخبرتهم الخبر فاجابوا وزوجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهى لا تعلم فلما صرنا الى المدائن نعا اليها الخبر فشهقت شهقة فماتت فدفناها هنالك وسرت الى الرشيد فاخبرته الخبر فاذكرها وقتا من الاوقات الا بكى أسفا عليها

﴿توفى رجل﴾ وبقيت امرأته شابة جميلة فما زال بها النساء حتى تزوجت فلما كانت ليلة زفافها رأت فى المنام زوجها الاول آخذا بعارضتى الباب وقد فتح يديه وهو يقول

حييت ساكن هذا البيت كلهم * الا الرباب فانى لا أحييها
أمست عروسا وأمسى مسكنى جدث * بين القبور وانى لا ألاقيها
استبدلت بدلا غيرى فقد علمت * ان القبور توارى من ثوى فيها
قد كنت أحسبها للعهد راغبة * حتى تموت وما جفت مآقيها

ففزعت من نومها فزعا شديدا وأصبحت فاركا (أى مبغضة للازواج) وآلت ان لا يصل اليها رجل بعده أبدا ﴿ولما﴾ قتل عثمان رضى الله عنه وقفت يوما على قبره امرأته نائلة بنت الفرافصة الكلبى فترحمت عليه ثم انصرفت الى منزلها ثم قالت انى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب

وقد خفت ان يسلي حزن عثمان فى قلبي فدعت بفهر فهتمت فاها وقالت والله لا يقعد رجل مني مقعد عثمان أبدا وخطبها معاوية فبعثت اليه أسنانها وقالت أذات عروس ترى وقالوا لم يكن فى النساء أحسن منها مضحكا (وكان) هدبة بن خشرم العذرى قتل ابن عم يقال له زيادة ابن زيد فطلبه سعد بن العاص وهو يلي المدينة لمعاوية فحبسه فقال فى السجن قصيدته التى يقول فيها

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وفى سجنه يقول أيضا

ولما دخلت السجن يا أم مالك * ذكرتك والاطراف فى حلق سمر

وعند سعيد غير ان لم أبح * به ذكرتك الامن يذكر بالامر

وسئل عن هذا فقال لما رأيت ثغر سعيد شبهت به ثغرها وكان سعيد حسن الثغر فحبس هدبة سبع سنين ينتظر به احتلام المسور بن زيادة فلما احتلم أخرج صبح تلك الليلة الى عامل المدينة فرغبه فى العفو وعرض عليه عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم فلما أبى بعث هؤلاء وغيرهم من اخوانه بالحنوط والاكفان فدخل عليه رسولهم السجن فوجدوه يلعب بالنرد فجلسوا ولم يقولوا له شيأ فلما لحظهم اذا بطرف برد خرج من بعض الاكفان فأمسك ثم قال كأنه قد فرغ من أمرنا وقالوا أجل وقام فاغتسل ثم رجع اليهم فأخذ من كل واحد ثوبا ورد ما بقي وأخرج ليقاد منه فجعل ينشد الاشعار فقالت له حبا المدنية ما رأيت أقسى قلبا منك تنشد الاشعار وقد دعى بك لتقتل وهذه خلفك كأنها غزال عطشان تولول يعني امرأته فوقف ووقف الناس معه فأقبل على حبا فقال

وجدت بها مالم تجد أم واحد * ولا وجد حبي بابن أم كلاب

وانى طويل الساعدين سمردل * على ما اشتهت من قوة وشباب

فأغلقت الباب فى وجهه وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدنى
فقال له على هذه الحال قال نعم فابتدأ ينشده

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب

﴿قال﴾ ونظر رجل الى امرأته فدخلته غيرة فقال وقد كان زيادة جزع أنفه بسيفه

فان يك أنفى بان عنى جماله * فما حسبى فى الصالحين بأجدعا
فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

(وعن أبى حمزة) الكنانى قال كنت فى حرس خالد بن عبد الله القسرى فقال خالد من يحدثنى بحديث عسى يستريح اليه قلبى فقلت أنا فقال هات فقلت انه بلغنى انه كان فتى من بنى عذرة وكانت له امرأة منهم وكان شديد الحب لها وكانت له مثل ذلك فبيناهو ذات يوم ينظر وجهها اذ بكى فنظرت الى وجهه وبكت فقالت له ما الذى أبكاك قال والله لتصدقيني ان صدقتك قالت نعم قال لها ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبى فقلت أموت فتتزوج زوجا غيرى فقالت والله ان ذلك الذى أبكاك قال نعم قالت وأنا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبى لك فقلت أموت فيتزوج امرأة غيرى قال الرجل فان النساء حرام على بعدك فلبثا ماشاء الله ثم ان الرجل توفى فجزعت عليه جزعا شديدا فخاف أهلها على عقلها ان يذهل فأجمع رأيهم على ان يزوجوها وهى كارهة لعلها تتسلى عنه فلما كان فى الليلة التى تهدى فيها الى بيت زوجها وقد نام أهل البيت والماشطة تهيئ من شعرها اذ نامت نومة يسيرة فرأت زوجها الاول داخلا عليها من الباب وهو يقول خنت يافلانة عهدى والله لاهنيت العيش بعدى فانتبهت مرعوبة وخرجت هاربة على وجهها وطلبها أهلها فلم يقعوا لها على خبر ﴿قال اسحق﴾ خرجت امرأة من قريش من بنى زهرة الى المدينة تقضى حقا لبعض القرشيين وكانت ظريفة جميلة فرآها

من بني أمية رجل فأعجبته وتأملها فأخذت بقلبه وسأل عنها فقيل له
هذه حميدة بنت عمر بن عبد الله بن حمزة ووصفت له بما زادها كلفه فخطبها
الى أهلها فزوجوه اياها على كره منها وأهديت اليه فرأت من كرمه
وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به فلم تقم عنده الا قليلا حتى أخرج أهل
المدينة بني أمية الى الشام فنزل بها أمر ما ابتليت بمثله فاشتد بكاؤها
على زوجها وبكاؤه عليها وخيرت بين ان تجمع معه مفارقة الاهل والولد
والاقارب والوطن أو تتخلف عنه مع ما تجد به فلم تجد شيأ أخف عندها
من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها فلما صارت بالشام صارت
تبكي ليلها ونهارها ولا تتهنأ طعاما ولا شرابا شوقا الى أهلها ووطنها
فخرجت يوما بدمشق مع نسوة تقضي حقا لبعض القرشيين فمرت بفتى
جالس على باب منزله وهو يتمثل بهذه الابيات

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا * صحون المصلى أم كعهدي القرائن
وهل أدور حول البلاط عوامر * من الحي أم هل بالمدينة ساكن
اذا لمعت نحو الحجاز سحابة * دعا الشوق مني برقها المتيامن
وما أشخصتنا رغبة عن بلادنا * ولكنه ما قدر الله كائن

فلما سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع تنفست نفسا صدع
فؤادها فوقعت ميتة فحملت الى أهلها وجاء زوجها وقد عرف الخبر
فانكب عليها فوقع عنها ميتا فغسلا جميعا وكفنا ودفنا في قبر واحد
﴿وكانت﴾ خولة بنت منظور بن زياد الفزاري عند الحسن بن علي بن أبي
طالب رضي الله عنهم وكانت أختها عند عبد الله بن الزبير وهي أحسن
الناس ثغرا وأتمهم جمالا فلما رأى ذلك عبد الملك بن مروان قتل عبد
الله بن الزبير زوجها ثم خطبها فكرهت ان تتزوجه وهو قاتل زوجها
فأخذت فهرا وكسرت به أسنانها وجاءها رسول عبد الملك يخطبها فأذنت
له ليراها فأدى اليها رسالته ورأى ما بها فقالت مالي عن أمير المؤمنين
رغبة ولكني كما ترى فان أحبني فأنا بين يديه فأتاه الرسول فأعلمه بذلك

فقال انا لله انما أردتها على حسن ثغرها الذى بلغنى وأما الآن فلا حاجة
لى فيها (وممن) يضرب به المثل فى الوفاء جماعة بنت عوف بن محلم الشيبانى
وذلك ان عمرو بن عبد الملك طلب مروان القرظ وهو مروان بن زنباع
العبسى فخرج هاربا حتى هجم على أبيات بنى شيبان فنظر الى أعظمها بيتا
ببصره فاذا هو بيت جماعة بنت عوف فألقى نفسه بين يديها فاستجارها
فأجارته ولحقته خيل عمرو فبعثت الى أبيها فعرفته انها أجارته فمنعهم
عوف عنه وانصرف أصحاب عمرو فأرسل عمرو الى عوف قد آليت الا
أقطع طلبى الا ان يضع يده فى يدى فقال عوف والله ما يكون ذلك أبدا
ولكن يدى بين يديك ويده قال فرضى عمرو بذلك فوضع مروان يده فى
يد عوف ووضع عوف يده فى يد عمرو فقال عمرو لا حر بوادى عوف فذهبت
مثلا (وحكى) عصام المرى عن أبيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى سرية قبل نجد وقال ان سمعتم مؤذنا أو رأيتم مسجدا فلا تقتلن أحدا
فبينا نحن نسير اذ لحقنا رجل معه ظعائن يسوقها أمامه فأخذناه فقلنا
له أسلم قال وما الاسلام فعرضناه عليه قال أرأيتم ان لم أسلم ما أنتم صانعون
بى قلنا نقتلك قال فهل أنتم تاركى حتى أوصى من فى هذا الهودج بكلمات
قلنا نعم فدنا من الهودج وفيه ظعينة فقال اسلمى جبيش قبل انقطاع
العيش فقالت اسلم عشرا أو تسعا وترا أو ثمانيا تترا قال ثم جاء فمد عنقه
قال شأنكم اصنعوا ما أنتم صانعون فضربنا عنقه ولقد رأيت تلك
الظعينة نزلت من هودجها وألقت نفسها عليه فما زالت تقبله وتبكى
حتى هدأت فحركناها فاذا هى ميتة (العتبى) قال كان خالد بن عبد الله
القسرى ذات ليلة مع فقهاء من أهل الكوفة فقال بعضهم حدثونا
حديثا لبعض العشاق قال أحدهم أصلح الله الامير ذكر هشام بن
عبد الملك غدر النساء وسرعة رجوعهن فقال له بعض جلسائه أنا أحدثك
يا أمير المؤمنين بلغنى عن امرأة من يشكر يقال لها أم عقبة بنت عمرو
ابن الاعران وانها كانت عند ابن عم لها يقال له غسان وكان شديد المحبة

لها والوجد بها وكانت له كذلك فأقام بها على هذا الحال ماشاء الله لا يزيد كل واحد منهما بصاحبه الا اغتباطا فلما حضرت غسان الوفاة قال لها يا أم عقبة اسمعي ما أقول واجيبي عن نفسك بحق فقالت له والله لا أجيبنك بكذب ولا أجعله آخر حظك معي فقال انى رجوت ان تحفظى العهد وان تكونى لى ان مت عند الرجاء أنا والله واثق بك غير انى بسوء الظن أخاف غدر النساء ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات فلم تمكث بعده الا قليلا حتى خطبت من كل مكان ورغب فيها الازواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب فقالت مجيبة له

سأحفظ غسانا على بعد داره * وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشر
وانى لفى شغل عن الناس كلهم * فكفوا فما مثلى من الناس يغدر
سأبكى عليه ما حييت بدمعة * تحول على الخدين منى فتكثر

فيئس الناس منها حينا فلما طالت بها الايام نسيت عهده وقالت من قد مات فقد فات وأجابت بعض خطابها فتزوجها المقدام بن حابس وقد كان بها معجبا فلما كانت الليلة التى أراد بها الدخول أتاها فى منامها زوجها الاول فقال لها

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة * ولم تعرفى حقا ولم ترعى عهدا
غدرت به لما ثوى فى ضريحه * كذلك ينسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرتاعة مستحيية منه كأنه يراها أو تراه كأنه فى جانب البيت فأنكر حالها من حضرها وقلن لها مالك وما بالك قالت ما ترك لى غسان فى الحياة أربا أتانى الساعة فأنشدنى هذه الابيات ثم أنشدتها بدمع غزير وانتحاب شديد من قلب جريح موجع فلما سمعن ذلك منها أخذن بها فى حديث آخر لتنسى ما هى فيه فتغفلتهن ثم قامت كأنها تقضى حاجة فأبطأت عليهن فقمن فى طلبها فوجدتها قد جعلت السوط فى حلقها وربطتها الى عمود البيت وجبذت نفسها حتى ماتت فلما بلغ ذلك زوجها

المقدام حسن عزاؤه عنها وقال هكذا فليكن النساء فى الوفاء قل من يحفظ ميتا اغاهى أيام قلائل حتى ينسى وعنه يتسلى (استعدى) آل بثينة مروان بن الحكم على جميل بن معمر فهرب حتى أتى رجلا شريفا من بنى عذرة فى أقصى بلادهم وله بنات سبع كأنهن البدور جمالا فقال الشيخ لبناته تحلين بأجود حليكن والبسن فاخر ثيابكن ثم تعرضن لجميل فمن اختار منكن زوجته اياها ففعلن ذلك مرارا وجعلن يعارضنه فلم يلتفت اليهن وأنشأ يقول

حلفت لكى تعلمن انى صادق * وللصدق خير فى الامور وأنجح

لتكليم يوم من بثينة واحد * ورؤيتها عندى ألذ وأملح

من الدهر ان أخلو بكن فانما * أعالج قلبا طامحا حيث يطمح

قال أبوهن دعن هذا فوالله لا أفلح أبدا (كانت) أم هانئ بنت أبى طالب تحت زوجها هبيرة بن أبى ليث المخزومى فهرب يوم فتح مكة الى اليمن فمات بها كافرا فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هانئ فقالت والله لقد كنت أحبك فى الجاهلية فكيف فى الاسلام ولكنى امرأة مصيبة وأكره ان يؤذوك فقال النبى صلى الله عليه وسلم نساء قريش خير نساء ركبن المطايا احناهن على ولد صغير وأرعاهن على زوج ذى يد (أبو بكر الانبارى) عن أبى السمر قال دخلت منزل نخاس لشراء جارية فسمعت فى بيت بازاء البيت جارية تقول

وكنا كزوج من قطا فى مفازة * لدى خفض عيش معجب مونق رغد

أصابهما ريب الزمان فأفردا * ولم أر شيأ أقط أوحش من فرد

فقلت للنخاس اعرض على هذه المنشدة فقال انها حزينة قلت ولماذلك قال اشتريتها من ميراث فهى باكية على مولاها ثم لم ألبث ان أنشدت

وكنا كغصنى بانة وسط دوحة * نشم جنا الجنات فى عيشة رغد

فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع * فيافردة باتت تحن الى فرد

قال أبو السمراء فكتبت الى عبد الله بن طاهر بخبرها فكتب الى ان ألق

عليها هذا البيت فان اجازته فاشترها ولو كانت بخراج خراسان والبيت

قريب صد بعيد وصل * جعلت منه لى ملاذا

(فقالت سرعة)

فعاتبوه فزاد شوقا * فمات عشقا فكان ماذا

قال أبو السمراء فاشتريتها بألف دينار وحملتها اليه فماتت فى الطريق فكانت احدى الحسرات (قال الاصمعى) خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب بن أبى صفرة من دمشق متنزهين فرابا الجبانة واذا امرأة جالسة على قبر تبكى فهبت الريح فرفعت البرقع عن وجهها فكأنها غمامة جلت شمسا فوقفنا متعجبين ننظر اليها فقال لها ابن المهلب يا أمة الله هل لك فى أمير المؤمنين بعلا فنظرت اليهما ثم نظرت الى القبر فقالت

فان تسألانى عن هواى فانه * بملحود هذا القبر يا فتيان

وانى لاستحييه والترب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يرانى

فانصرفنا ونحن متعجبين (قال الاصمعى) رأيت بالبادية اعرابية لا تتكلم فقلت أخرساء هى فقيل لى لا ولكنها كان زوجها معجبا بنغمتها فتوفى فآلت ان لا تتكلم بعده أبدا (قال الفرزدق) أبق لرجل من بنى نهشل يقال له حصن غلام فخرجت فى طلبه أريد اليمامة فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة ارتفعت لى سحابة فرعدت و برقت وأرخت عزاليها فعدلت الى بعض ديارهم وسألت القرا فاجابوا ودخلت الدار وأنخت ناقتى وجلست فاذا جارية كأنها طالعة قمر فقالت من الرجل قلت من بنى حنظلة قالت من أى حنظلة قلت من بنى نهشل قالت فأنت من الذين يقول فيهم الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت نعم فتبسمت ثم قالت فان جريرا هدم قوله حيث يقول

أخزى الذي سمك السماء مجاشعا * وأحل بيتك بالحضيض الاسفل

قال فأعجبني ما رأيت من جمالها وفصاحتها ثم قالت لي ابن تؤم قلت اليمامة فتنفست نفسا وصل الى سحره فقلت أذات خدر أم ذات بعل فبكت فقلت ما أجبتيني عما سألتك قال فلما فهمت قولي ولم تكن أولا فهمته من شدة استغراقها فلما كان بعد ساعة أنشأت تقول

يخيل لي أبا عمرو بن كعب * بانك قد حملت على سرير

فان يك هكذا أبا عمرو اني * مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فماتت فقلت لهم من هذه قالوا عقيلة بنت الضحاك بن النعمان بن المنذر قلت فمن عمرو قالوا ابن عمها خطبها ولم يدخل بها فارتحلت من عندهم فدخلت اليمامة فسألت عن عمرو فاذا به قد دفن في ذلك الوقت من ذلك اليوم (يروى) عن سماك بن حرب أن زيد بن حارثة قال يارسول الله انطلق بنا الى فلانة نخطبها عليك أو علي ان لم تعجبك فأتيناها فذكر لها زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يارسول الله انى عاهدت زوجي ألا أتزوج بعده أبدا وأعطاني مثل ذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان ذلك في الاسلام ففي له وان كان ذلك في الجاهلية فليس بشئ (قال الاصمعي) خرجت الى مقابر البصرة فاذا أنا بامرأة على قبر من أجمل النساء وهي تندب صاحبه وتقول

هل أخبر القبر سائليه * أم قر عينا بزائريه

أم هل تراه أحاط علما * بالجسد المستكن فيه

ياجبلا كان ذا امتناع * وطود عدلا آمليه

يانخلة طلعها نضيد * يقرب من كف مجتنيه

ياموت ماذا أردت مني * حققت ما كنت أتقيه

دهر رماني بفقد الفى * أذم دهري وأشتكيه

أمنك الله كل خوف * وكل ما كنت تتقيه

أسكنك الله في جنان * تكون أمنا الساكنيه

قال فقلت لها يا أمة الله ماهذا منك قالت لو علمت مكانك ما أنشدت حرفا هذا زوجي وسروري وأنسي والله لازلت هكذا أبدا أو ألحق به قلت لها أعيدي علي الشعر فقالت هذا من ذاك فقلت خذي اليك وأنشدتها الابيات فقالت فان يكن في الدنيا الاصمعي فانت هو (قال) كان لاشجع ابن عمرو السلمي جارية يقال لها ريم وكان يجد بها وجدا شديدا وتجد به وكانت تحلف له انها ان بقيت بعده لم يحكم عليها رجل أبدا فقال يخاطبها

اذا غمضت فوقي جفون حفيرة * من الارض فابكيني بما كنت أصنع

تعزيك عني بعد ذلك سلوة * وان ليس فيمن وارت الارض مطمع

﴿فأجابته ريم تقول﴾

ذكرت فراقا والمفرق يصدع * وأي حياة بعد موتك تنفع

اذا الزمن الغدار فرق بيننا * فمالي في طيب من العيش مطمع

فلو أبصرت عيناك عيني أبصرت * شآبيب جدر غيثها ليس تقشع

﴿وقال فيها أيضا﴾

وليس لاخوان النساء تطاول * ولكن اخوان الرجال يطول

فلا تبخلي بالدمع عني فان من * يضن بدمع عن هوى لبخيل

فمالي الى رد الشبيبة حيلة * ولا لي الى دفع المنون سبيل

وان لداتي قد مضوا لسبيلهم * وان بقائي بعدهم لقليل

﴿فأجابته ريم﴾

بكى من صروف خطبهن جليل * ومن ذا به عمر الحياة يطول

ومن ذا الذي ينعي على حدث الردى * وللموت في اثر النفوس رسول

وكل جليل سوف يلقى حمامه * وكل نعيم دائم سيزول

لي الويل ان عمرت بعدك ساعة * وان كثير الويل لي لقليل

وتزعم اني لا أجود بعبرة * اذا نجمه قد حان منه أفول

ومن ذا الذي أبكي له ان فقدته * سواك ومن دمعي عليه يسيل

فلا وقيت ريم اذا ما تخافه * اذا ناب خطب للزمان جليل

ولا لقيت يوم القيامة ربها * وميزانها بالصالحات ثقيل

اذا ما سخا قلب امرئ بمودة * فقلبي بود عن سواك بخيل

ولما مات أشجع آلت على نفسها أن لا تأكل طعاما ولا تذوق شرابا فعاشت بعده أياما ثم توفيت فدفنت الى جانبه

﴿باب ما يذكر من غدر النساء﴾

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر وقال عمرو المالك

ان من غره النساء بود * بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين واللسان وفيها * كل شئ يجن فيه الضمير

﴿وقال طفيل الغنوى﴾

ان النساء لاشجار تبين لنا * منهن مر وبعض المر مأكول

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لابد مفعول

﴿وفي الحديث المرفوع﴾ ان المرأة خلقت من ضلع عوجاء فان ذهبت تقومها كسرتها فاستمتع بها على عوج فيها (وكان) أبو ذر الغفاري يقعد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فينشده

هي الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها

أيجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

(وفي الحديث) شاوروهن وخالفوهن فان في خلافهن البركة (قال علقمة ابن عبدة)

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

﴿وقال آخر﴾

تمتع بها ما ساعفتك ولا يكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبيني

وان هي أعطتك الليان فانها * لغيرك من طلابها ستلين

وان حلفت ان ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

(وقال أبو عبيدة) حجت امرأة بجير السلولى معه فأقبلت لا تطرق على شاب فى الرفقة الا وتكشف وجهها فقال فى ذلك

أيارب لا تغفر لعثمة ذنبها * وان لم يعاقبها البجير فعاقب
حرام عليك الحج لا تطعمينه * اذا كان حج المسلمات الثوائب

(وقال اعرابى)

لا تكثرى قولا منحتك ودنا * فقولك هذا للفؤاد مريب
تعدين ما أوليتنى منك قابلا * وللفارس العجلان منك نصيب

(أراد رجل) ان يشترى قينة وقد كان أحبها فبات عند مولاها ليلة فأمكنته من نفسها وكان الامتناع منه فأنشأ يقول

ما رأينا بواسط كسليمى * منظرا لو تزينه بعفاف
بت فى جنبها وبات ضجيعى * جنب القلب طاهر الاطراف
فأقيمى مقامنا ثم بينى * لست عندى من فتية الاشراف

(وقال آخر)

لا أشتهى رنق الحياة ولا التى * تخاف وتغشاها المعبدة الحرب
ولكننى أهوى مشارب أحرزت * عن الناس حتى ليس فى صفوها عيب

(وقال اعرابى أيضا)

تبعتك لما كان قلبك واحدا * وأمسكت لما صرت نهبا مقسما
ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه * على كثرة الوراد ان يتهدما

(وقال أبو نواس)

ومظهرة لخلق الله حبا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو اليه * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وكان رجل يحب امرأة فخطب فى اليوم الذى ماتت فيه فقيل له فى ذلك فقال

خطبت كما لو كنت قدمت قبلها * لكانت بلا شك لأول خاطب
اذا غاب بعل كان بعل مكانه * فلا بد من آت وآخر ذاهب

﴿وعن المطلب بن وداعة السهمى﴾ قال كانت ضباعة بنت عامر من بنى عامر بن صعصعة تحت عبد الله بن جدعان فمكثت عنده زمانا لا تلد فأرسل اليها هشام بن المغيرة ما تصنعين بهذا الشيخ الكبير الذى لا ولد له فقولى له فليطلقك فقالت ذلك لعبد الله بن جدعان فقال لها انى أخاف ان طلقتك تتزوجى هشام بن المغيرة قالت له فان لك على ان لا أفعل هذا قال لها فان فعلت فان عليك مائة من الابل تنحرينها وتنسجين ثوبا يقطع ما بين الاخشبين وتطوفين بالبيت عريانة قالت لا أطيق ذلك وأرسلت الى هشام فأخبرته فأرسل اليها ما أهون ذلك وما يكبر بك من ذلك أنا أيسر من قريش فى المال ونسائى أكثر النساء بالبطحاء وأنت أجمل النساء ولا تعابين فى عريك فلا تأبى ذلك عليه فقالت لابن جدعان طلقنى فان تزوجت هشاما على ما قلت فطلقها بعد استيثاقه منها فتزوجها هشام فنحر عنها مائة جزور وأمر نساءه فنسجن ثوبا يملأ ما بين الاخشبين ثم طافت بالبيت عريانة قال المطلب فاتبعها بصرى اذا أدبرت واستقبلها اذا أقبلت فما رأيت شيأ مما خلق الله منها وهى واضعة يدها على فرجها وقريش قد أحدقت بها وهى تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

﴿قال الزبير بن بكار﴾ خطب الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب من عمه الحسين بن على رضى الله عنهما فقال له يا ابن أخى قد انتظرت هذا منك انطلق معى فخرج معه حتى أدخله منزله ثم أخرج اليه ابنتيه فاطمة وسكينة وقال له اختر أيهما شئت فاختار فاطمة فزوجه اياها فلما حضرت الحسن الوفاة قال لها انك امرأة مرغوب فيك متشوف اليك لا تتركين وانى ما أدع فى قلبى حسرة سواك فتزوجى من شئت سوى عبد الله بن عمر بن عثمان ثم قال لها كأنى قد خرجت وقدمت وقد جاءك

لابساحلته مرجلاجمته يسير فى جانب الناس معترضا الك ولست أدع من الدنيا همـا غيرك فلم يدعها حتى استوثق منها بالايمان ومات الحسن فأخرجت جنازته فوافاه عبد الله بن عمرو وكان يجد بفاطمة وجدا شديدا وكان رجلا جميلا كان يقال له المطرف من حسنه فنظر الى فاطمة وهى تلطم وجهها على الحسن فأرسل اليها مع وليدة له ان لابن عمك أربا فى وجهك فارفقى به فاسترخت يدها واحمر وجهها حتى عرف ذلك جميع من حضرها فلما انقضت عدتها خطبها فقالت كيف أفعل بأيمانى قال لها الك بكل مال مالان وبكل مملوك مملوكان فوفى لها وتزوجها فولدت له محمدا وكان يسمى من حسنه الديباج والقاسم ورقية ﴿قال الزبير﴾ لما حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزبير خرجت عليه فاطمة بنت القاسم بن على بن جعفر بن أبى طالب فقال لها كأنى بك قد تزوجت طلحة ابن عمر بن عبد الله بن معمر فحلفت له بعتق رقيقها وان كل شئ لها فى سبيل الله ان تزوجته أبدا فلما توفى حمزة بن عبد الله وحلت أرسل اليها طلحة بن عمر يخطبها فقالت له قد حلفت وذكرت يمينها فقال لها أعطيك بكل شئ شيئين وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين ألف دينار فاصدقها ضعفها فتزوجته فولدت له ابراهيم ورملة فزوج طلحة ابنته رملة من اسمعيل بن على بن العباس بمائة ألف دينار وكانت منطقة الجمال والخلق فقال اسمعيل لطلحة بن عمر أنت أتجر الناس قال له والله ما عالجت تجارة قط قال بلى حين تزوجت فاطمة بنت القاسم بأربعين ألفا فولدت لك ابراهيم ورملة فزوجت رملة بمائة ألف دينار فربحت ستين ألفا وابراهيم ﴿وعن هشام بن الكلبى﴾ قال قال عبد الله بن عكرمة دخلت على عبد الرحمن بن هشام أعوده فقلت كيف تجدك فقال أجدنى والله الموت وما موتى بأشد على من أم هشام أخاف ان تتزوج بعدى فحلفت له انها لا تتزوج بعده فغشى وجهه نورا وقال الآن فلينزل الموت متى شاء فلما انقضت عدتها تزوجت عمر بن عبد العزيز فقلت فى ذلك

فان لقيت خيرا فلا يهنينها * وان تعست بؤسا فللعين والفم

فلما بلغها ذلك كتبت اليّ قد بلغني ما تمثلت به وما مثلي ومثلك في أخيك الا كما قال الشاعر

وهل كنت الا والهاذات ترحة * قضت نحبها بعد الحنين المرجع

فدع ذكر من قد وارت الارض شخصه * ففي غير من قد وارت الارض مقنع

قال فبلغ مني كل مبلغ فحسبت حسابها فاذا هي قد عجلت بالتزوج وبقي عليها من عدتها أربعة أيام فدخلت على عمر فاخبرته فأنقض النكاح

﴿قال الزبير بن بكار﴾ كانت امرأة من العرب تزوجت رجلا فكانت تحبه ويحبها وجدا شديدا فتحالفا وتعاهدا ان لا يتزوج الباقي منهما فالبث ان مات بعلها فتزوجت فلامها أهلها على نقض عهدها فقالت

لقد كان حبي ذاك حبا مبرحا * وحبي لذا اذ مات ذاك شديد

وكانت حياتي عند ذاك جنة * وحبي لذا طول الحياة يزيد

فلما مضى عادت لهذا مودتي * كذاك الهوى بعد الممات يبيد

﴿حكى الهيثم بن عدي﴾ قال عاهد رجل امرأته وعاهدته أن لا يتزوج الباقي منهما فهلك الرجل فلم تلبث المرأة ان تزوجت فلما كان ليلة البناء بها رأت في أول الليل شخصا فتأملته فاذا هو زوجها وهو يقول لها نقضت العهد ولم ترعي له وأصبحت أتممت نكاحها ﴿وروى﴾ ابن شهاب ان رجلا من الانصار غزا فأوصى ابن عم له بأهله فأتى ابن عم الرجل ليلة من الليالي فتطلع على حال زوجة ابن عمه فاذا في البيت مصباح يزهر ورائحة طيبة واذا برجل متكئ على فراش ابن عمه وهو يتغنى ويقول

وأشعث غره الاسلام مني * خلوت بعرسه بدر التمام

أبيت على ترائبها ويغدو * على جرداء لاحقة الحزام

كأن مجامع الربلات منها * فئام ينتمين الى فئام

فلم يقدر الرجل أن يملك نفسه حتى دخل عليه فضربه حتى قتله ورفع الخبر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصعد المنبر وخطب وقال عزمت

عليكم ان كان الرجل الذى قتل حاضرا و يسمع كلامى فليقم فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال أبعده الله ما كان من خبره فاخبره وأنشده الابيات فقال أضربت عنقه قال نعم يا أمير المؤمنين فقال أبعده الله فقد هدر دمه

﴿قال أبو عمرو الشيبانى﴾ كان أبو ذؤيب الهذلى يهوى امرأة يقال لها أم عمرو وكان يبعث اليها خالدا ابن أخيه زهير فراودت الغلام عن نفسها فامتنع وقال أكره ان يبلغ أبا ذؤيب فقالت له ما يرانى واياك الا الكواكب فبات معها وقال

ما ثم الا أنا والكواكب * وأم عمرو فلنعم الصاحب

فلما رجع الى أبى ذؤيب استراب به وقال والله انى لأجد ريح أم عمرو منك ثم جعل لا يأتيه الا استراب به فقال خالد

يا قوم مالى وأبى ذؤيب * كنت اذا ما جئته من غيب

يشم عطفى ويشم ثوبى * كأننى أربته بريب

فقال أبو ذؤيب وهى من قصيدة من جيد شعره

دعا خالدا أسرى ليالى نفسه * ولى على قصد السبيل أمورها

فلما توفاها الشباب وغدره * وفى النفس منه غدرها وفجورها

لوى رأسه عنى ومال بوده * أغانيج خود كان حينا يزورها

تعلقها منه دلال ومقلة * يظل لاصحاب السفاه يثيرها

﴿فأجابه خالد﴾

فلا يبعدن الله عقلك ان غزا * وسافر والاحلام جم غيورها

وكنت اماما للعشيرة تنتهى * اليك اذا ضاقت بأمر صدورها

وقاسمها بالله جهدا لانتم * ألذ من الشكوى اذا ما يسورها

فلم يغن عنه خدعة حين أزمعت * صريمته والنفس مر ضميرها

قال وكان أبو ذؤيب أخذها من مالك بن عويمر وكان مالك يرسله اليها فلما كبر أخذت أبا ذؤيب فلما كبر أخذت خالدا وقال

تريدين كيما تجمعينى وخالدا * وهل يصلح السيفان و يحك فى غمد

أخالدمار اعيت مني قرابة * فتحفظني بالغيب أو بعض ماتبدى

﴿قال أبو عبيدة﴾ كان صخر بن عبد الله الشريد يتعشق ابنة عمه سلمى بنت كعب وكان يخطبها فتأبى عليه فاقام على ذلك حينا ثم أغارت بنو أسد على بني سليم فغلبوهم وصخر غائب وأخذت سلمى فيمن أخذ من النساء وقتل عدة منهم وأسر آخرون وأقبل صخر فنظر الى ديارهم بلقعا وأخبر الخبر فشد عليه سلاحه واستوى على فرسه وأخذ أثرهم حتى لحقهم فلما نظروا اليه قالوا هذا كان شر دمن بني سليم وقد أحب الله ان لا يدع منهم أحدا فجعل يبرز اليه الفارس بعد الفارس فيقتله فلما أكثر فيهم القتل حلت أسارى بني سليم بعضها بعضا وثاروا على بني أسد ونظر صخر الى سلمى وهي مع عبد أسود قد شدها على ظهره فطعنه صخر فقتله واستنقذ سلمى ورجع بها وقد أصابته طعنة أبي ثور الاسدي في جنبه وتزوج سلمى وكان يحبها ويكرمها ويفضلها على أهله ثم بعد ذلك انتقض جرحه فمرض حولا وكان نساء الحي يدخلن الى سلمى عوائد فيقلن كيف أصبح صخر فتقول لا حي فيرجى ولا ميت فينسى ومر بها رجل وهي قائمة وكانت ذات خلق وأرداف فقال أيباع هذا الكفل فقالت عن قريب فسمعها صخر ولم تعلم فقال لها ناوليني السيف أنظر هل صدئ أم لا وأراد قتلها فناولته ولم تعلم فاذا هو لا يقدر حمله فقال

أرى أم صخر ماتمل عيادتي * وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى ان أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد أيقظت من كان نائما * وأسمعت من كانت له اذنان
فللموت خير من حياة كأنها * محلة يعسوب براس سنان

قال ونتأت في موضع الجرح قطعة فاشاروا عليه بقطعها فقال لهم شأنكم فلما اقطعت مات ﴿قال كان الساطرون الملك﴾ ملك اليونانيين

قد بنى حصنا يسمى الثرثار ولم يكن له باب ظاهر فكل من غزاه من الملوك
رجع عنه خائبا حتى غزاه سابور ذو الاكتاف ملك فارس فحصره أشهرا
لا يقدر على شئ فاشرفت يوما من الحصن النضيرة ابنة الملك فنظرت الى
سابور فهوينه وكان من أجمل الناس وأمدهم قامة فارسلت اليه ان أنت
ضمنت لى ان تتزوجنى وتفضلنى على نسائك دللتك على فتح هذا الحصن
فضمن لها ذلك فارسلت اليه ان ائت فى الثرثار تبنا واجعل الرجال يتبعونه
حتى يرو احيث يدخل فان ذلك المكان يفضى الى الحصن وفيه بابه
ففعل ذلك سابور وعمدت النضيرة الى أبيها فسقته الخمر حتى أسكرته فلم
يشعر أهل الحصن الا وسابور معهم وهم آمنون قال فلما ظفر سابور
بالحصن وقتل الملك أبا النضيرة وجمع جنده تزوج بالنضيرة فباتت
معه مسهرة لا تنام تتقلب من جنب الى جنب فقال لها سابور مالك
لا تنامين فقالت ان جنبى تجافى عن فراشك قال ولم فوالله ما نامت الملوك
على ألين منه ولا أوطأ وان فرشه لزغب النعام فلما أصبح سابور نظر الى
ورقة آس بين أعكانها فتناولها فدمى موضعها فقال لها ويحك بماذا كان
أبوك يغذيك قالت بالمخ والزبد والبلح والشهد وصفو الخمر فقال لها سابور
انى لجدير ان لا استبقيك بعد اهلاكك أبوك وقومك وكانت حالك
عندهم هذه الحالة التى تصفين وأمر باحضار فرسين فربطت الى
أرجلهما بغدائرها ونفرا فقطعاها نصفين فذلك قول عدى حيث يقول

والحصن صبت عليه داهية * من فعره أيد مناكبها
من بعدما كان وهو يعمره * أرباب ملك جزل مواهبها

﴿ويروى﴾ ان وضاح اليمن نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان
بالمدينة صغيرين فاحبها وأحبته وكان لا يصبر عنها حتى اذا شبت حجبت
عنه فطال بهما البلاء فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها
فتزوجها ونقلها معه الى الشام فذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب
وينحل فلما طال عليه البلاء وصار الى الوسواس خرج الى مكة حاجا وقال

لعلى أستعيذ بالله مما أنا فيه وأدعو الله فلعله يرحمنى فلما قضى حجه شخص الى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك فى كل يوم لا يجد حيلة حتى رأى فى يوم من الايام جارية صفراء خارجة من القصر تمشى فمشى معها ولم يزل بها حتى أنست به فقال لها أتعرفين أم البنين بوضعى فقالت عن مولاتى تسأل قال لها هى ابنة عمى وانها لتسر بموضعى لو أخبرتها قالت فأنا أخبرها فمضت الجارية فاخبرت أم البنين فقالت لها ويلك أحى هو قالت لها نعم يا مولاتى قالت لها ارجعى اليه وقولى له كن مكانك حتى يأتيك رسولى فانى لا أدع الاحتيال لك واحتالت له فادخلته فى صندوق فمكث عندها حينا فاذا أمنت أخرجته فقعد معها واذا خافت عين رقيب أدخلته فى الصندوق وأهدى يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا العقد وامض به الى ام البنين وقل لها أهدى هذا الى أمير المؤمنين فوجه به اليك فدخل الخادم مفاجأة ووضاح معها قاعد فلمحه الخادم ولم تشعر أم البنين فبادر الى الصندوق فدخله وأدى الخادم الرسالة وقال هبى لى من هذا الجوهر حجرا واحدا فقالت له لا أم لك فما تصنع بهذا فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصندوق الذى رآه دخله فقال له كذبت لا أم لك ثم نهض الوليد مسرعا فدخل اليها وهى فى ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذى وصف له الخادم فقال لها يا أم البنين هبى لى صندوقا من صناديقك هذه قالت أنا لك يا أمير المؤمنين وهى لك فخذ أيها شئت قال ما أريد الا هذا الذى تحتى قالت له يا أمير المؤمنين ان فيه شيأ من أمور النساء فقال ما أريد غيره قالت فهو لك قال فأمر به فحمل ودعا بغلامين وأمرهما يحفران حتى وصلا الى الماء ثم وضع فمه فى الصندوق وقال يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شئ فان كان حقا فقد دفناخبرك وان كان كذبا فما أهون علينا ان ادفنا صندوقا وأمر بالصندوق فالقى فى الحفيرة وأمر بالخادم الذى عرفه فقذف معه

ورد التراب عليهما قال فكانت أم البنين لا ترى الا فى ذلك المكان تبكى الى ان وجدت ذات يوم مكبوبة على وجهها ميتة * وروى * عن أبى نواس قال حججت مع الفضل بن الربيع فلما كنا بارض فزارة أيام الربيع نزلنا منزلا بفنائهم ذوارض أريض ونبت غريض وقد اكتست الارض نبتها الزاهر وبرزت براخم غرورها والتحفت أنوار زخرفها الباهر ما يقصر عن حسنه النمارق المصفوفة ولا يدانى بهجته الزرابى المبثوثة فزادت الابصار فى نضرتها وابتهجت النفوس بثمارها فلم نلبث ان أقبلت السماء بالسحاب وأرخت عزاليها ثم اندهمت برذاذ ثم بطش ثم بوابل حتى اذا تركت الديم كالوهاد تقشعت وأقلعت وقد غادرت الغدران مسترعة برفق والقيعان ناضرة بتالق يتضاحك بأنوار الزهر الغض حتى اذا همت بتشبيه منظر حسن رددته اليه واذا تقت الى موضع طيب لم يجد فى البكاء معولا الا عليه فسرحت طرفى راتعا فى أحسن منظر واستنشقت من رياها أطيب من ريح المسك الاذفر فقلت لزميلى ويحك امض بنا الى هذه الخيمات فلعلنا نلاقى من نأثر عنه خبرا نرجع به الى بغداد فلما انتهينا الى أوائلها اذا نحن بخباء على بابه جارية مبرقعة بطرف مريض وسنان النظر قد حشى فتورا وملئ سحرا فقلت لصاحبى والله انهم الترنو عن مقلة لا رقية اسليمها ولا برء لسقيمها فقال لى وكيف السبيل الى ذلك فقلت استسقها ماء فدنونا منها فاستسقيناها فقالت نعم ونعما عين وان نزلتما ففى الرحب والسعة ثم قامت تتهادى كالدعص الملبد فوالله ما رأيت منها فأتت بالماء فشربت منه وصببت باقيه على يدى ثم قلت وصاحبى عطشان أيضا فأخذت الاناء ودخلت الخباء ثم جاءت فقلت لصاحبى تعرض لكشف وجهها فقال

اذا بارك الله فى ملبس * فلا بارك الله فى البرقع
يريك عيون المهاغرة * ويكشف عن منظر أشنع

فرت مسرعة وأتت وقد كشفت البرقع وتقنعت بخمار أسود وأنشأت

وهي تقول

الا حي ضيفي معشر قد أراهما * أضلا ولما يعرفا مبتغاهما
هما استسقيا ماء على غير ظمأة * ليستمتعا باللحظ من سقاهما
يذمان تلباس البراقع ضلة * كما ذم تجر اساعة مشتراهما

قال فشبهت والله كلامها بعقد در وهي من سلكه فهو ينتثر بنغمة عذبة رخيمة لو خوطبت به الصم الصلاب لانبجست ماء ارطوبة منطقها وعذوبة لفظها بوجه يظلم لنوره ضياء العقول ويتلف من رؤيته مهج النفوس فهي كما قال

فرقت وجلت واستكبرت فاكملت * فلو جن انسان من الحسن جنت

فلم أتمالك ان خررت ساجدا فقالت ارفع رأسك غير مأجور ولا تذمن بعدها برقعا فكشف البرقع عما يطرد الكرى ويشغل الهوى من غير بلوغ أرب ولا ادراك طلب وليس الا الحين المملوب والقدر المكتوب والامل المكذوب فبقيت والله معقول اللسان عن الجواب حيرانا لا أهتدي الى طريق الصواب والتفت الى صاحبي لما رأى لهفي فقال ماهذه الخفة لوجه انما برقت لك بارقة لعلك ماتدري ماتحتها أما سمعت قول الشاعر حيث يقول

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فقالت بئس ماذهبت اليه لا أبالك لانا أشبه بقول الشاعر حيث يقول

منعمة حوراء يجري وشاحها * على كشح مرتج الروادف أهضم
خزاعية الاطراف كندية الحشا * فزارية العينين طائية الفم

ثم رفعت ثيابها حتى جاوزت نحرها فاذا هي كقضيب فضة قد شيب بماء الذهب يهتز على مثل كثيب ولها صدر كالورد عليه رمانتان أو حقان عاج يلا آن يد اللامس وخصر مطوى الاندماج يهتز في كفل رجراج لو رمت عقده لانعقد وسرة مستديرة يقصر وهمي عن بلوغ وصفها تحت ذلك أرنب جاثم أوجبهة أسد غادر وفخذان لفاوان وساقان

خدلجان يحرسان الخلاخيل وقدمان خمصاوان فقالت أعارا ترى
قلت لا والله قال فخرجت عجوز من الخباء وقالت أيها الرجل امض لشأنك
فان قتيلها مطلول لا يودى وأسيرها مكبول لا يفدى فقالت لها
الجارية دعيه فتله قول ذى الرمة

وان لم يكن الا تمتع ساعة * قليلا فانى نافع لى قليلها

فولت العجوز وهى تقول

فما لك منها غير انك ناكح * بعينيك عينيها فهل ذاك نافع

قال فبينما نحن كذلك اذ ضرب الطبل للرحيل فانصرفت بكمد قاتل
وكرب داخل ونفس هائمة وحسرة دائمة فقلت فى ذلك

رسم الكرى بين الجفون محيل * عفا عليه بكا عليك طويل
يا ناظرا ما أقلعت لحظاته * حتى تشحط بينهن قتيل
أحللت من قلبى هواه محلة * ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التى فى مثلها * يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها * دون السمين ودونها المهزول

قال فوالله ما انتفعت بحج ولا لقيت أحدا ممن كنت تأهبت للقائه ثم
رجعنا منصرفين فلما كنا بذلك المنزل وقد تضاعف نواره وأعشم نبته وتزايد
حسنه قلت لصاحبى امض بنا الى صاحبتنا فلما مضينا وأشرفنا على
الخيام ونحن دونها استترنى روضة أريضة مونقة عليها جمان الطل
يغازلها كالاعين النجل وقد أشرقت بدموعها على قضب الزبرجد
وهبت ريح الصبا فصبت لها الاغصان وتمايلت تمايل النشوان
فصعدنا ربوه ونزلنا وهده فاذا هى بين خمس لا تصلح أن تكون خادمة
لاحداهن وهن يجنين من نوار ذلك الزهر وينقلبن على ما أعشم من
عشبه وزهره فلما رأيننا تقربن فسلمنا عليهن فقالت الجارية من بينهن
وعليك السلام ألست صاحبى آنفا قلت بلى ولكن لحى كان ذلك فقلن
لها أوتعرفينه قالت نعم فقصت عليهن القصة كلها ما كتمت منها حرفا

واحدا فقلن لها ويحك أفنا زودتيه شيأ قالت زودته والله موتا مريحا ولحدا ضريحا فانبرت لها أنضرهن وجها وأرقهن خدا وأرشقهن قدا وأبدعهن شكلا وأكملهن عقلا فقالت والله ما أجملت بدأ ولا أحسنت عودا ولقد أسأت في الرد ولم تكافئيه بالود وانى أحسبه لك وامقا والى لقائك تائقا فما عليك من اسعافه في هذا المكان ومعك من لا ينم عليك فقالت لها يا تعسا الى ما دعوتني والله لا أفعل من ذلك شيأ أو تفعلينه وتشركيني في حلوه ومره وخيره وشره فقالت لها تعسا تالك اذا قسمة ضيزى تعشقين أنت فترهبين وتوصلين فتقطعين ويرغب فيك فتزهدين ويبذل لك الود فتمنعين الرد ثم تأمريني ان أشاركك فيما يكون منك شهوة ولذة ومنى عناء وسخرة ما أنصفت في القول ولا أجملت في الفعل قالت أخرى منهن قد أطلتن الخطاب في غير قضاء أرب فسألن الرجل عن قصته وما في نفسه من بقيته فلعله لغير ما أنتن فيه فقلن حياك الله وأقر بك عينا من أنت ومن تكون فقلت أما الاسم فالحسن بن هانئ الحكمي وأنا من شعراء السلطان الاعظم ومن يتزين بمجلسه ويفتخر بحمده وشكره ويتقي لسانه قصدت لتبريد غلة واطفاء لوعة قد أحرقت الكبد وأذابت الجسد ثم استبطنت الاحشاء فنعت من القرار ووصلت الليل بالنهار فقالت لقد أضفت الى حسن المنطق والمنظر كريم الخيم والمخبر وأرجو أن تبلغ أمنيتك وتنال بغيتك فهل قلت شيأ في صبوتك قلت نعم قلن انشد فانشدتهن

حججت رجاء الفوز بالاجر قاصدا * لحط ذنوب من ركوب الكبائر

فأبت كما آب الشقي بخفه * حنين فلم أوجر بتلك المشاعر

دهتني بعينها وبهجة وجهها * فتاة كمثل الشمس أسحر ساحر

منعمة لو كان للبدر نورها * لما طلعت بيض النجوم الزواهر

فان بذلت نلت الاماني كلها * وان لم تنلني زرت أهل المقابر

فقلن أحسنت والله ثم قالت انها والله ساعتك الطولى ان خالفتني قالت

قد سمعت جوابي فقالت أخرى أجيبها الى مادعت من الشركة لتكن احداكن في الامر فقلن قد أنصفت وقد أطلتن الخطاب على أمر فأمضينه قبل انتشار الحي فالوقت ممكن والمكان خال فأجمعن على ذلك ولست أشك فيما أظهرن ثم قلن عن تبدأ قلت اقترعن فوقعت القرعة على أملحهن فصرت الى باب المغارة هناك فأدخلتني وأبطأت عني قليلا وجعلت أتشوق وأنظر الى دخول احداهن فبينا أنا كذلك اذ دخل على أسود كأنه سارية بيده ايره وهو منعظ كمثل ذراع البكر فقلت ماتريد قال أنيكك فاهتني والله نفسي فصحت بصاحبي وكان أجلد مني فخلصني من الاسود ولم أكد أخلص منه فخرجت من المغارة فاذا هن ينظرن من الخيمات كأنهن لا "ل ينحدرن من سلك وهن يتضاحكن حتى غبن عن بصري فاسرعنا الرجعة الى رحالنا فقلت لصاحبي من أين جاء الاسود قال كان يرعى غنما عند ربوة من المغارة فأومأن اليه فأسرع نحوهن فاوحين اليه شيأ فرأني ذلك فاسرعت نحوك فسبقني ودخل عليك ولولا ذلك لكان قد تمكن منك الاسود فقلت أتراه كان يفعل قال لي فأنت في شك من هذا فقلت له اكتم علي وانصرفت وأنا والله أخزى من ذات النحيين * قال دعبل بن علي * بينا أنا سائر بباب الكرج وقد استولى الفكر على قلبي فخضر لي بيت شعر خطر به لساني من غير النطق به فقلت دموع عيني لها انبساط * ونوم جفني له انقباض

واذا جارية معترضة تسمع كلامي فقالت

وذا قليل لمن دهته * بلحظها الاعين المراض

فلم أعلم اني خاطبت جارية أعذب منها لفظا ولا أسحر طرفا ولا أنضر خدا ولا أحسن مشيا ولا أرجح عقلا فوددت ان كل جارحة مني عين تنظر أو قلب يفهم أو أذن تسمع فقلت

أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

ماللزمان يقال فيه وانما * أنت الزمان فسرنا بتلاق

قال فلحظتها وتبعتني وذلك حين املاقي واختلال حالي فقلت مالي الا منزل صريع الغواني فأتيته واستوقفتها ودخلت اليه وقلت ويلك يا مسلم أجمل الك انك بر وجه على الباب تقل له الدنيا ومافيها مع عسر وضيقة قال لي قد شكوت الي ما كدت أبدؤك به من الشكوى ولكن انت بها على كل حال فلما دخلت قال لي والله ما أملك الا هذا المنديل فقلت له هو البغية قال فاخذته فبعته بثلاثين درهما واشتريت خبزا ولحما ونبيذا واذا هما يتنازعان حديثا كأنه قطع الروض ذكرت به قول بشار فقلت

وحديث كأنه قطع الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

فقال لي مسلم بيت لطيف ووجه ظريف ولا نقل ولا ريحان أخرج فالتمس لنا ذلك قال فخرجت وجئت بما طاب فاذا لا حس منهما ولا أثر لهما فجعلت أطيل الذكر وأرجم الظن حتى اذا جن على الليل وفي قلبي لهيب النيران ثاب الي عقلي وقلت لعل الطلب يوقعني على موضع خفي فوقفت على باب سرداب واذا هما قد نزلا ومعهما جميع ما يحتاجان اليه فأكلا وشربا ونعما فدليت رأسي وصحت مسلم ثلاث مرات فلم يكلمني باكثر من أن قال لي محلنا والنفقة من عندنا وأنت فضولي ماهذا الذي تقترح اصبر مكانك حتى يؤذن لك فبقيت طول لياتي أتقلى على جمر الغضا الا أعرف أين أنا فلما انشق الصبح اذا به طلع وطلعت الجارية في أثره فاسرت اليه وخرجت تغدو ولم تخاطبني فكانت أعظم حسرة نزلت بي

﴿باب ماجاء في الزنا والتحذير من أليم عقابه﴾

﴿روى﴾ عن الاعمش عن سفيان عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر المسلمين اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الآخرة فاما التي في الدنيا فزوال البها ودوام الفقر وقصر العمر وأما اللواتي في الآخرة فسخط الله جل ثناؤه وسوء الحساب والخلود في النار ﴿وعن الحرث بن النعمان﴾ قال سمعت أنس بن مالك يقول ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقيم على الزنا كعابد وثن (وعن أبي سعيد الخدري) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي انطلق بي الى خلق من خلق الله ونساء معلقات بثديهن ومنهن بارجلهن منكسات ولهن صراخ وخوار فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء اللواتي يزنين ويقتلن أولادهن ويجعلن لازواجهن ورثة من غيرهم ﴿وعن أبي الدرداء﴾ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ليبغض ثلاثة الشيخ الزاني والمقل المختال والبخيل المنان ﴿وعن عمرو بن شرحبيل﴾ عن عبد الله بن مسعود أنه قال قلت يا رسول الله أو قال غيري أي الذنوب أعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل النفس بغير حق قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك قال ثم أنزل الله في كتابه تصديق ذلك ثم قال والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴿وعن عبد الله بن عمر﴾ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاني بحليلة جاره لا ينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه ويقول له ادخل النار مع الداخلين ﴿وعن أبي هريرة﴾ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية الملاعنة أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شئ ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس الاولين والآخرين ﴿ذكر الزنا﴾ عند يحيى بن خالد بن برمك فقال الزنا يجمع الخصال كلها من الشر لا تجد زانيا معه ورع ولا وفاء بعهد ولا محافظة على صديق الغدر شعبة من شعبه والخيانة فن من فنونه وقلة المروءة عيب من عيوبه وسفك الدم الحرام جناية من جناياته ﴿وحكى ابن الاعرابي﴾ قال كان الحرث بن أبي شمر الغساني اذا أعجبته امرأة ووصفت له بعث اليها واغتصبها نفسها فوجه الى الزاهرية بنت خولة بن نفيل بن عمرو بن كلاب فاغتصبها نفسها فاتاه أبوها

فقال له

يا أيها الملك المخـــوف أما ترى * ليلا وصبحا كيف يختلفان

هل تستطيع الشمس أن تأتى بها * ليلا وهل لك بالمليك يدان

فاعـــلم وأيقن ان ملكك زائل * واعـــلم بانك ماتدين تدان

﴿وعن عدى بن ثابت﴾ قال سمعت عبد الله بن عباس يقول كان فى بنى اسرائيل راهب عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرؤن على يديه وانه أتى بامرأة من أشرف قومها قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها لم يزل الشيطان يخوفه و يزين له قتلها ودفنها فقتلها ودفنها وذهب الشـيطان فى صورة رجل حتى أتى بعض اخوتها فاخبره بالذى فعل الراهب ثم أتى بقيـة اخوتها رجلا رجلا فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول له والله لقد أتانى آت فذكر لى شيأ كبيرا علينا فاخبر بعضهم بعضا بما قيل لهم فاتوا الى الراهب فقالوا ما فعلت اختنا قال خرجت ولست أدرى أين ذهبت فرفعوا ذلك الى ملكهم فسار اليـه الناس حتى استنزلوه من صومعته فأقر لهم بالذى فعل فامر به فصلب على خشبة وتمثل له الشيطان فقال له انا الذى زينت لك هذا وألقيتك فيه فهل أنت مطيعى فيما أقول لك واخلصك قال نعم قال تسجد لى سجدة واحدة فسجد له الرجل ثم قتل فهذا داخل تحت قول الله عز وجل كمثل الشـيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين ولم تزل أشراف العرب فى الجاهليـة يتجنبون الزنا و يذمونه و ينهون عنه وروى هشام بن عروة عن أسماء بنت أبى بكر الصـديق رضى الله عنه قالت سمعت زيد بن عمرو بن نفيل فى الجاهلية وهو مسند ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش اياكم والزنا فانه يورث الفقر وفى وصية دريد بن الصمة اياكم وفضيحة النسـاء فانها عقوبة غد وعار أبد يقول يكاد صاحبها يعاقب فى حرمه بمثلها ولا يزال لازما ما عاش له عارها (وحكى)

بعضهم

بعضهم قال وفد عبد المطلب بن هشام على بعض ملوك حمير فألطف منزلته وأكرمه وكان تاماجميلا فقال له الملك يا أبا الحرث أحب ان ينادمني ابنك فاذن له أبوه فى ذلك وكان الحميرى أجمل ملوك حمير وكانت زوجته أجمل منه فكان اذا شرب مع الحرث خرجت زوجته فجلست معهما تسقيهما فعشقت الحرث زوجة الملك فكاشفت به فراسلته فاعلمها انه محصن عن الزنا ولا يخون نديمه فالحت عليه فكتب اليها

لا تطمعي فيما رأيت فانني * عف منادمتي عفيف المئزر

أسعى لأدرك مجد قوم سادة * غمر واطفن البيت عند المشعر

فاقني حياءك واعلمي انى امرؤ * أربى بنفسي ان يعير معشرى

ثم انه أخبر أباه فصوب رأيه وقال له يابنى ان لنساء الملوك طفاحا فلما رأته قد عزفت نفسه عنها قالت والله لا أدعه تمتع به امرأة أبدا فدست اليه شربة فشربها وارتحل مع أبيه فلما قدم مكة مات فجزع عليه عبد المطلب جزعا شديدا وقال يرثيه

سقى الاله صدى وارثيه بيدى * ببطن مكة يعفوه الاعاصير

ياحارث الخير قد أورثتني شجنا * فالقلب عن ذكراك تغيير

فلست أنساك ماهبت شآمية * ومابدا علم فى الآل معمور

﴿ولما قتلت﴾ بنو أسد بن خزيمة حجر بن الحرث أبا امرئ القيس دار فى أحياء العرب فلم ير منهم ما يحب فمضى حتى قدم على هرقل ملك الروم فاقام عنده شهرا فاكرمه ونادمه وأعجبه كماله وعقله ثم بعث معه ستمائة من أبناء الملوك ومن تبعهم ونظرت اليه ابنة الملك فعشقته وأرسلت اليه ان يلقاها قبل خروجه فجعل يعتذر لها ويمللها ولا يرضى ان يخون أباها فيها مع مافعله معه وخرج منصرفا الى بلاده فقالت بنت هرقل لابيها ما صنعت بنفسك وجهت أبناء ملوك الروم مع ابن ملك العرب لو قد استمكن مما أراد غزاك ونزع ملكك فوجه اليه الملك بحلة منسوجة بالذهب مسمومة فلما لبسها تنفط جلده وتساقط لحمه فنظر

الى جبل فسأل عنه فقيل له اسمه عسيب فقال

أجارتنا ان المزار قريب * وانى مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

وقيل انه قال هذا لانه رأى قبرا عند هذا الجبل فسأل عنه فاخبر انه قبر امرأة من بنات ملوك الروم فمات هنالك ﴿ومما﴾ فضل به بسطام بن قيس على عامر بن الطفيل وعتبة بن الحرث بن شهاب ان بسطاما كان فارسا عفيفا جوادا وكان عتبة فارسا عفيفا بخيلا وكان عامر فارسا جوادا عاهرا فاجتمعت فى بسطام ثلاث خصال شريفة فبذلك فضلهما بسطام ﴿قال الشعبي﴾ تنافر عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وعلقمة بن علاثة ابن الاحوص الى هرم بن قطبة بن سنان الذبيانى حكيم العرب فقال لعلقمة بأى شئ أنت أسود من عامر قال أنا بصير وهو أعور وأنا أبو عشرة وهو عقيم وأنا عفيف وهو عاهر ﴿وانما أطاقت العرب﴾ حديث الرجال الى النساء لما كانوا برون من النقص فى الريب و يأخذون أنفسهم بحفظ الجيران وما يعرف بعضهم من بعض من استعمال الوفاء والتحرز من العار لان الرجل منهم كان يصون حرمة جاره وصاحبه كصيانة الابنة والاخت والزوجة من حرمة لا يرى أحد منهم لنفسه رخصة فى اضاعة ذلك وانما يتحمل الغدر ويرخص نفسه فيه من باين البوادى وخالط الحضر لانه رأى أجناس العبيد وأخلاط العوام وقد نشؤا على عادة فجور واعلم اولن يستوى من كرم طبعه وصحت بنيته وترك الفواحش وجانبها تنزها عنها ولانها محظورة عليه وغير مباحة له وأحب شئ الى الانسان ما منع عنه فترك الاول طبع وترك هذا تكلف وأما العوام وأخلاط الناس فلا يكادون يتورعون عن محرم ولا يستحيون من عار وهم أكثر العالم غدرا ﴿قال المسيح عليه السلام﴾ لا يزنى طرفك بما غضضت بصرك ﴿ونظر﴾ أشعث الى ابنه يوما وهو يديم النظر الى امرأته فقال له يابنى أظن نظرك اليها قد أحبلها أخذ هذا بعض الشعراء

فقال

فقال ولى نظرة لو كان يحبل ناظر * بنظرته أنثى لقد حبلت منى

(مرت امرأة) بقوم من بنى غير فرشقوها بابصارهم وأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بنى غير فو الله ما أخذتم بقول الله تبارك وتعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ولا بقول الشاعر

فغض الطرف انك من غير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فخجل القوم مما قالت وأطرقوا (وكان يقال) أربع لا يشبعن من أربع عين من نظر وأذن من خبر وأرض من مطر وأنثى من ذكر (وقال اسحق بن بهيل) رأيت رجلا فى طريق مكة وعديله فى المحمل جارية قد شد عينيها وكشف سائر وجهها فقلت له فى ذلك فقال انما أخاف عينيها لا عيون الناس (وكان) عند بعض القرشيين امرأة عربية فدخل عليها خصى لزوجها وهى واضعة خمارها تمتشط شعرها فحلقت شعرها وقالت لا يصحبنى شعر نظر اليه غير ذى محرم منى (وقال رجل لاعرابى) ما الزنا عندكم قال النظرة والقبلة قيل له ليس هذا الزنا عندنا قال وما هو قال ان يجلس بين شعبها الاربع ثم يجهد نفسه قال بابى أنت ليس هذا زانيا هذا طالب ولد (قيل لابى الطمان العتبى) أخبرنا عن أقبح ذنوبك قال ليلة الدير قيل وما ليلة الدير قال نزلت على نصرانية فأكلت طفشلا بلحم خنزير وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كساءها ومضيت (قال الجاحظ) قرأ قارئ قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فقال ابراهيم بن عزوان لا والله ما سمعت بأعدل من هذه الفاسقة أما والله لو غرست بى ما استعصمت (بات اعرابى) ضيفا لبعض الحضر فرأى امرأته فهم ان يأتى اليها فى أول الليل فنعه الكلب ثم أراد ذلك مرة أخرى فنعه ضوء القمر ثم أراد ذلك فى السحر واذا العجوز قائمة تصلى فلما رأى ذلك قال

لم يخلق الله شيأ كنت أبغضه * غير العجوز وغير الكلب والقمر

هذا يبرح وهذا يستضاء به * وهذه سبحة قوامة السحر

﴿وصف اعرابى﴾ رجلا ماجنا فقال والله لو أبصرته عيدان القيان لتحركت أوتارها ولو رأته مومسة لطار خمارها ﴿وحكى خريدة بن اسما﴾ قال حججنا ونحن فى رفقة اذ نزلنا منزلا ومعنا امرأة نامت ثم انتبهت وحية على عنقها لا تضرها بشئ فلم يجترئ أحد منا ان ينحيها عنها فلم تزل كذلك حتى أبصرت الحرم فانسابت ومضت عنها فحمدنا الله ودخلنا مكة فقضينا نسكنا ورأى الغريض المغنى المرأة وقد سمع الحديث وما حكاه الناس عنها فقال لها يا شقية مافعلت حيتك قالت فى النار قال ستعلمين من فى النار قال فضحكت المرأة ولم تفهم ما أراد وارتحلنا منصرفين حتى اذا كنا بالموضع الذى حين نزلناه جاءت الحية حيث انسابت وتطوقت عليها فلما تأملت المرأة عرفتها ثم صفرت الحية فاذا الوادى يسيل علينا من جنباته حيات فنهشتها حتى بقيت عظاما ونحن نرى ذلك ثم انصرفنا جميعا فقلنا للجارية التى معها ويحك خبرينا بخبر هذه المرأة فقد والله رأينا منها عجبا قالت نعم بغت ثلاث مرات تلد فى كل مرة غلاما فاذا وضعته حمت تنورا ورمته فيه وتكتم خبره قال فقلت سبحان الله ما أعجب هذا وذكرت قول الغريض لها ستعلمين من فى النار فزادنا ذلك تعجبا منها ﴿قال أحمد بن يحيى﴾ كان مرثد عم عمرو بن قميئة الشاعر عنده امرأة جميلة وكان قد كبر وكان يجمع بنى أخيه وبنى عمه فى منزله للغداء كل يوم وكان عمرو بن قميئة شابا جميلا وكانت أصبع رجله الوسطى والتى تليها مفترقتين فخرج مرثد يرمى بالقداح فارسلت امرأته الى عمرو بن قميئة ابن عمك يدعوك فجاءت به من دبر البيوت فلما دخل عليها لم يجد عمه فانكر أمرها فراودته عن نفسها فقال لها لقد جئت بامر عظيم وما كان مثلى يدعى لمثل هذا قالت لتفعلن ما أقول لك أولا سوءنك قال الى المساءة دعوتينى ثم انه قام فخرج وأمرت بجفنة فكبت على أثر رجله فلما رجع مرثد وجدها متغضبة فقال لها مالك قالت ان رجلا من قومك قريب القرابة جاء يستامنى نفسى ويريد فراشك منذ خرجت

قال ومن هو قالت أما أنا فلا أسميه ولكن قم فاقتف أثره تحت الجفنة فلما رأى الاثر عرفه فاعرض عنه وجفاه ولم يزده على ذلك وكان أعجب الخلق اليه وعرف ابن قمية ذلك وكره ان يخبره فقال

لعمرك ما نفسي بجد رشيدة * تؤامرني شر الاصرم مرثدا
عظيم رماه القدر لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو أخمدا
فقد ظهرت منه بوائق جمة * وأفرع في لومي مرارا وأصعدا
على غير ذنب ان أكون جنيته * سوى قول باغ جاهد فتهجدا

وبلغت الابيات مرثدا فكشف عن الامر حتى تبين له فطلق امرأته وعاد على ما كان عليه لابن أخيه ﴿وذكر هشام بن محمد الكلبي﴾ عن الحصين بن لبيد قال كان الحطيئة نازلا في بني المسند من بني ضبة فرأى لبنة بنت قرطة أخت العلا وكانت فاسدة فاعجبته فكلمها فاجابته فوقع عليها فحملت منه ثم ارتحل الحطيئة فلما بان حملها زوجها العلا بن غالب ابن صعصعة فولدت الفرزدق على فراشه فنسب اليه ففي ذلك يقول جرير بن الخطفي

كان الحطيئة جار أمك مرة * والله يعلم شأن ذاك الجار
لا تفخرن بغالب ومحمد * وافخر بعبس يوم كل فخار

قال وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فأكرمه وأحسن ضيافته فبلغه انه زان فاراد ان يختبر ذلك فقال لجارية له انطلقي الى الفرزدق وعمر في حجرة له ينظر ما يصنع الفرزدق فاتته الجارية بالغسل والدهن وذهبت لتغسل رأسه فوثب عليها فركضته وقالت لعنك الله من شيخ ثم خرجت فاتت عمر فاخبرته فنفاه من المدينة وقال جرير

نفاك الاغر ابن عبد العزيز * وحقك تنفى من المسجد

﴿فقال الفرزدق﴾

فاوعدني وأجلني ثلاثا * كما وعدت بمهلكها ثمود

﴿ودخل﴾ الفرزدق يوما على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة فقال أنشدني يا أبا فراس فأنشده قصيدته حتى بلغ الى قوله

خرجن الى لم يطمثن قبلى * فلن أصح من بيض النعام
فبتن بجانبي مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال له سليمان ما أظنك يا أبا فراس الا قد احللت نفسك أقررت عندى بالزنا وأنا امام ولا بد من اقامة الحد عليك فقال يا أمير المؤمنين ما أحللت نفسي ان كنت تأخذ بقول الله وتعمل به قال سليمان فبقول الله نأخذ عليك الحد قال الفرزدق فان الله يقول والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون وأنا يا أمير المؤمنين قلت مالم أفعل فتبسم سليمان وقال تلافيتها يا أبا فراس ودرأت الحد عن نفسك وخلع عليه وأمر له بجائزة ﴿قال أبو عبيدة﴾ هوى أبو العباس الاعمى امرأة ذات بعل فراسلها فأعلمت زوجها فقال لها اطمعيه فاطمعته ثم قال ارسلى اليه فلما أتت فأرسلت اليه فأتاها وجلس زوجها الى جانبها فقال لها أبو العباس انك وصفت لنا فامسسينا فاخذت يده فجعلته على اير زوجها وقد أنعظ فنتر يده وعلم انه قد كيد فخرج من عندها وقال

أتيتك زائرا فوضعت كفى * على اير أشد من الحديد
علي أليه مادمت حيا * أمسك طائعا الا أعود
فخير منك من لا خير فيه * وخير من زيارتكم قعود

﴿وكان بشار الاعمى﴾ يرتع فبلغ امرأته ذلك فعاتبته مرارا فخاف لها وانها سألت عن المكان الذى يمضى اليه فدلت على امرأة تجمع بين النساء والرجال فبذلت لها شيأ وسألتها اذا جاءها بشار ان تبعث اليها ففعلت وقالت أبشار قد وقعت اليوم امرأة من أجمل النساء ووصفتها له فطرب اليها فلما خلا بها وخالطها ضربت بيدها فى لحيته وشتمته وقالت أين أيمانك الفاجرة فقال لها العنك الله ألا تركتيني حتى أقضى حاجتي فوالله مارأيت أبرد منك حلالا ولا أطيب منك حراما ﴿قال اسحق بن ابراهيم﴾

كان

كان مخارق يهوى البهار جارية أم جعفر وشغف بها حتى أفضى غايته في حبها فبينما هو منصرف ذات ليلة من دار المأمون في دجلة وقد عمل الشراب فيه وأم جعفر جالسة في دارها على دجلة اذ رفع عقيرته يغني شعر عباس بن الاحنف

ان يمنعوني ممري قرب داركم * فسوف أنظر من بعد الى الدار
ماضر جيرانكم والله يكلؤهم * لولا شقائي اقبالي وادباري
لا يقدرون على منعي وان جهدوا * اذا امررت وتسليمي باجهاري

فسمعت أم جعفر صوته فأمرت خدامها فصاحوا بملاحه فقدم وصعد اليها فدعت له بكرسي وصينية فيها نبيذ فشرب وخلعت عليه وقالت للجواريها اضربن معه فكان أول ما تغنى به

أغيب عنك بود لا يغيره * نأى المحل ولا صرف من الزمن
فان أعش فلعل الدهر يجمعنا * وان أمت فبطول الشوق والحزن
قد حسن الحب في عيني ما صنعت * حتى أرى حسنا ما ليس بالحسن

قال فاندفعت البهار تباريه في الصوت وتغنى

تعتل بالشغل عنا لا تكلمنا * والشغل للقلب ليس الشغل للبدن

فضحكت أم جعفر وقالت ما رأيت ولا سمعت قط باحسن من هذا ووهبت له الجارية فاخذها وانصرف *قال ابراهيم بن الخطيب* حدثني مخارق قال كنت عند الرشيد فلما أراد الانصراف قال لي يا مخارق بكر علي فقلت نعم يا أمير المؤمنين فلما أصبحت بكرت أريد ما ذكره فاذا جارية راكبة وهي أحسن الناس عينين في النقاب فنظرت اليها ونظرت الي فلم أملك نفسي وتعشقتها وتبعتها حتى دخلت منزل المعبدي الهاشمي فقلت لغلماني اذا كان المغرب فصيروا الي فاذا كنت في الدنيا خرجت اليكم واذا كنت مت فقد قضيت وطرا قال واقتحمت ودخلت الدار فاذا جماعة مجتمعون وقد أحضر والطعاما فأكلت معهم وأحضر الشراب وغنت الجارية فاذا هي أحذق الناس وأطيبهم فغنيت فقال المعبدي ما أحسنه

وأبهاه فمن هو فقال له القوم ما نعرفه فقال ما أظرف هذا يدخل منزلي بغير أمري ابغوا الى صاحب الشرطة وكل ذلك بسمعي قالت الجارية يا مولاي لا تفعل لعل له عذرا فحياني هب لي جرمه فقد رحمته واحسب ان هذه صناعته قال فطابت نفسي فلما خرجت قال لي يا فتى تغني فقلت نعم فغنيت فطرب القوم وقال المعبدي ان كان في الدنيا مخارق فانت هو قلت نعم أنا مخارق وحدثته حديثي والسبب في دخول منزله فسر وفرح ودعا بدواة وقرطاس وأقبل يكتب ويعود اليه الجواب ثم وزن مالا ووجه به فلما كان بالعشي قال يا غلام هات تلك العتيدة فاحضر عتيدة مملوءة طيبا وقال هات ذلك التخت فأحضره اياه فقال أتدري ما نحن فيه قلت لا قال قد اشتريت لك الجارية بأربعين ألف دينار وهذه عتيدة فيها طيب وتخت ثياب فأخذت بيدها وانصرفت بها عروسا فلما أصبحت بكرت على الرشيد فقال لي يا ابن الفاعلة أين كنت فحدثته الحديث فسر به وقال ما توهمت ان في أهلي مثل هذا وأمر من ساعته ان يحمل اليه أربعون ألف دينار ﴿وكان ليوسف بن القاسم﴾ وهو أبو أحمد بن يوسف وزير المأمون غلام أسود متأدب نشأ في الاعراب فهوى جارية لرجل قرشي فشكاه القرشي لمولاه فضربه وحبسه وحلف ان لا يطلقه الا بعد شفاعة من شكاه فقيل له ويحك أتحبك كما تحبها فقال

كلانا سواء في الهوى غير انها * تجلد أحيانا وما بي تجلد
تخاف وعيد الكاشحين وانما * جنوني عليها حين أنهى وأوعد

فبلغ مولاها شعره فقال وان فيه لهذا الفضل فركب من وقته الى القرشي فقال له أسألك ان تبيعني هذه الجارية بأي ثمن شئت فقال ما أفعل حتى أعرف السبب في ذلك فعرفه الخبر وأنشده البيتين فقال أشهدك اني قد وهبت له الجارية وانا أعطي لله عهدا ان أخذت لها ثمنا ابدا لشفاعتك وأدب الغلام ووجه الجارية معه فدفعها الى الغلام ﴿قالوا﴾ كان المتوكل جالسا يوما في القصر الذي يقال له المختار اذ مر خادم أسود لفتيحة مبادرا

يريد الدخول الى دار النساء فسقط منه كتاب مختوم فأمر من جاءه بالكتاب وفتحه فاذا فيه مكتوب

أكثرى المحو فى الكتاب وحيـه * بريق اللسان لا بالبنان
ومرى الختام فوق ثنايا * لك العذاب المفلجات الحسان
انتى كلما مررت بحرف * فيه محو لطعته بلسانى
فأراها تقبيلة من بعيد * أهديت لى ومابرحت مكانى

فقال يا فتح ماترى لقد اجترأ علىّ من كتب هذا الشعر علىّ بالخادم فأتى به وقد علم الخادم ان الكتاب سقط منه فطار عقله خوفا ورعبا فقال له من دفع هذا الكتاب اليك وأنت آمن فان صدقت نجوت وان لم تصدق ضربت عنقك قال يامولاى ان لمولاتى فتيحة وكيلا يتصرف فى أمرها من أبناء البرامكة وهو يحب جاريتها نسيم الكاتبة وأنا أسعى بينهما بالكتب التى يتكاتبان بها فقال له امض بلا خوف عليك ثم قام المتوكل فدخل على فتيحة وقال لها خذى فى أمر جاريتك نسيم الكاتبة فانى قد زوجتها من فلان وكيلك وأنقدت عنه عشرة آلاف درهم وأمر باحضار الوكيل وقال له هل لك فى نسيم فذهب عقله وطار قلبه وخاف خوفا شديدا فقال له تكلم وأنت آمن فقد زوجتك بها وأمهرتها عشرة آلاف درهم وأمرت لك بعشرة آلاف تولم بها وسأل فتيحة تعجل زفافها اليه ففعلت (وحكى) الهيثم بن عدى عن ابن عباس قال كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية تحت عبد الملك بن مروان وكان يجد بها ويحبها حبا شديدا فغضبت عليه فطلب رضاها بكل أمر فأبت حتى أضرّ به ذلك وشكاه الى خاصته فقال له عمر بن الاسدى مالى ان أرضيتها قال له حكمك قال فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكى فقالت له حاضنها مالك ياأباحفص قال قد جئت الى بنت عمى فى أمر مهم عظيم فاستأذنى لعلها تقضى حاجتى فقالت مابالك فقال لها قد عرفت حالى مع أمير المؤمنين عبد الملك ولم يكن لى غير ابنين فتعدى أحدهما على الآخر فقتله فقلت

أنا ولى الدم وقد عفوت فقال أمير المؤمنين ما أحب ان أعوّد رعيتى هذا
وهو قاتله بالغداة فنشدتك الله الا كلمتيه فيه وسألتيه فى ابقائه لى فانك
تجمعين فى ذلك احياءه واحياء نفسى فانه ان قتله قتلت نفسى فقالت
ما أكلمه فقال لها ما أظنك تكسبين شيأ أحب من احياء نفسين وبكى
بكاء شديدا فلم يزل بها صواحبها وخدمها وحاشيتها حتى قالت علىّ بثيابى
فلبست وكان بينها وبينه باب قد ردمته فامرت بفتحه ثم دخلت فاقبل
أحد الغلمان فقال يا أمير المؤمنين هذه عاتكة قال ويلك رأيتها قال نعم
يا أمير المؤمنين واذا هى قد أقبلت وعبد الملك على سريره فسلمت فسكت
فقالت أما والله لولا مكان عمر بن بلال ما فعلت ولا أتيتك والله ان عدا أحد
بنيه على الآخر فقتله وهو الولى وقد عفا عنه لتقتله قال اى والله وهو
راغم قالت أنشدك الله ان لا تفعل فدنت فأخذت بيده فأعرض عنها
فأخذت رجله فقبلتها فاكب عليها وضمها الى نفسه ورفعها الى سريره
وقال قد عفوت عنه فتراضيا وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصة
فدخل عمر بن بلال فقال يا أبا حفص ألطفت الحيلة فى القيادة فلك
حكمك فقال يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق
والآلة قال هى لك قال ومرابض لولدى وأهل بيتى قال وذلك كله لك
وبلغ عاتكة الخبر فقالت ويلى على القوّاد خدعنى ﴿ويروى﴾ ان معاوية
ابن أبى سفيان رحمه الله رأى كاتباله يكلم جارية لامرأته فاختة بنت
قريظة فى بعض طرق داره فقال له أتحبها قال اى والله يا أمير المؤمنين
قال اخطبها من فاختة فخطبها وكلم معاوية فاختة فأجابته فزوجها منه
فدخل معاوية وبين يديها عتيدة من العطر لعرس جاريتها فقال هوّنى
عليك يا بنت قريظة انى أحسب الا تنا كان بعد حين ﴿قال عمر بن شبة﴾
كان الاحنف بن قيس يوما جالس مع معاوية اذ مرت بهما وصيفة
فدخلت بيتا من البيوت فقال معاوية يا أبا بحر أنا والله أحب هذه الجارية
وقد أمكنتنى منها ولولا الحياء من مكانك فقال الاحنف فأنا أقوم قال بل

تجلس لئلا تسترتيب بنا فاطمة فقال الاحنف شأنك فقام معاوية اليها فبيناهو يعاجنها اذ خرجت بنت قرظة فقالت للاحنف يا قواد أين الفاسق فأومأ الاحنف الى البيت الذى هو فيه فاخرجته ولحيته فى يدها فقال لها الاحنف ارفقى بأسيرك رحمك الله فقالت يا قواد وتتكلم أيضا فقال معاوية يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام *قال ابن شبة* كانت بالمدينة امرأة يقال لها صهباء من أحسن الناس وكانت من هذيل وكانت رتقاء فتزوجها ابن عم لها فكثت حينا لا يقدر عليها لشدة ارتقاقها فابغضته بغضا شديدا فطلبت منه الطلاق فطلقها ثم انه أصاب أهل المدينة مطر شديد فى الخريف وسيل عظيم فخرج اليه أهل المدينة وخرجت صهباء مع أهلها وخرج ابن جحش وأصحاب له للنزهة فلما انتصف النهار وخلا الوادى خرجت صهباء واستنقعت فى السيل وخرج ابن جحش ولم تشعر به صهباء فرآها وأحبها وتهالك عليها وكان بالمدينة امرأة دلالة على النساء يقال لها قطبة وكانت تداخل القرشيين بنسائهم فلقيها ابن جحش فسألها عن صهباء فقال اخطبيها على قالت قد خطبها عيسى ابن طلحة بن عبيد الله وأنعم له بها أهلها ولا أراهم يختطون عيسى اليك فشتمها ابن جحش وقال كل مملوك لى حر لوجه الله ان لم تحتالى فيها حتى أتزوجها لأضربنك ضربة بالسيف وكان مقداما جسورا ففزعت منه فدخلت على صهباء وأهلها فتحدثت معهم ثم ذكرت ابن عمها فقالت لعمة صهباء ما باله فارقها فاخبرتها خبره فاصغت الى عمتها فقالت لها وأسمعت صهباء أما والله لو كان ابن جحش لنقبها نقب اللؤلؤة ثم خرجت من عندهم فأرسلت اليها صهباء ان مرى ابن جحش فليخطبنى فلقيت قطبة ابن جحش فأخبرته بالخبر فخطبها فأنعمت له وأبى أهلها الا عيسى بن طلحة وأتت صهباء الى ابن جحش فتزوجها وافتضها من ساعته وفيها يقول

دار الصهباء الذى لا ينتهى * عن ذكرها أبدا ولا ينساها

صفراء يطويها الضجيع لطافة * طي الجمالة لينا امتناها
نعم الضجيع اذا النجوم تغورت * بالقرب أخراها على أولاها

﴿قالوا﴾ كان رجل من تجار أهل المدينة من ذوى النعمة فى ليلة من شهر رمضان فى المسجد يصلى اذ عرض له فى منزله بعض الامر فانصرف من التراويح فأصاب بابه مفتوحا واذا رجل مع ابنته فى محلها يحدثها فاخذ بيده وذهب به الى منزل ابن أبى عتيق فدق عليه فاشرف عليه فقال أردت ان أكلمك جعلت فداك قال فانحدر اليه فقال له ان هذا الفتى وجدته فى منزلى على حال كذا فسألته فزعم انه ابنك فأقبل ابن أبى عتيق فأخذ بيد التاجر فشكره وجزاه خيرا وقال لن يعود الى شئ تكرهه أبدا ان شاء الله فأخذ الفتى فلكزه وشتمه فلما ولى الرجل قال للفتى من أنت ويلك قال أنا ابن فلان التاجر وابتليت بابنة هذا التاجر فدخلت عليها فى هذه الليلة أتحدث عندها فما راعنى الا انه واقف على رأسى فلم أجد ملجأ الا ان اعتزيت اليك لما علمت من قدرك وشرفك وكرمك قال اخبرنى عن الجارية أتحبك قال نعم قال فهل يمكنك أن تأتى بها الى منزلى هذا قال نعم قال فعدها وائت بها وأمر غلاما له وقال اذا جاءت المرأة التى يأتيك بها هذا الفتى فادخلها واجلس أنت مع الفتى وأرسل الى من يعلمنى ففعل الفتى وأتى بالجارية الى المكان وأرسل الى ابن أبى عتيق فعرفوه فأرسل الى أبى الجارية انك قد اصطنعت الى فتانا يدا وقد أحببنا ان نصنع اليك مثل ذلك فى فتاتكم فادخله عليها فلما رآها استرجع فقال له ابن أبى عتيق ما هذا أهون عليك هذا الامر واقبل وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال الحقوا النساء بأكفائهن ان هذا الفتى ليس والله لى بولدى ولكن هو قد انتسب الى لما أدركه من النجاة منك وهو فلان بن فلان التاجر وهو من نظرائها وأكفائها فهل لك ان تزوجه اياها وأصدقها عنه من مالى مائة دينار قال له نعم ولم يبرحوا حتى زوجها منه وأصدقها وأخرج المهر من عنده وسأله التعجيل بزفافها اليه ﴿وحكى﴾ عن ابن أبى

ورقاء الجبلي قال خرجت من الكوفة أريد بغداد فلما صرت بأول مرحلة
نزل غلماننا ففرشوا بسطهم وهيئوا غداءهم ونزلت ولم يجئ أحد بعد
فرمانا الطريق برجل حسن الهيئة فاره البرذون فصحت بالغلمان
فأخذوا دابته ودعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وجعلت لا أكرمه
بشئ الا قبله وكنا كذلك ساعة اذ جاء غلمانه ثم تناسبنا فقال الرجل أنا
طريح بن اسمعيل الثقفي فلما ارتحلنا كنا في قافلة لا يدرك طرفها فقال
لي طريح ما حاجتنا الى زحمة الناس وليست بنا اليهم وحشة ولا مخافة
فنأخرينا بعد القوم فنزلنا الى جانب نهر مظلل بالشجر فتغدينا ثم قمنا الى
النهر نستنقع فيه فلما نزع ثيابه اذا آثار داهية في جنبيه يلج فيها الكف
فوقع في نفسي منه شئ فنظر الي وفطن وتبسم وقال لي قد رأيت عجبا
منك لما رأيت ما بي وأنا أحدثك حديثه اذا اسمرنا العشية فلما ركبنا قلت له
الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدنيا وما فيها وركبت الى
يوسف بن عمر ومع قرابتي منه فلا أيدي نخرجت من عنده الى الطائف
فلما اشتد بي الطريق وليس يصحبني فيه خلق عن لي اعرابي على قعود له
وهو حسن الحديث قد روى الشعر وأنشد لنفسه فقلت له من أين
أقبلت قال لا أدري والله قلت فالى أين عمت قال لا أدري والله قال فقلت
فما قصتك فقال أنا عاشق بجارية من قومي قد أفسدت عيشي وتلفت
فانا أستريح بان أنحدر في الطريق مع منحدريه وأصعد مع مصعديه قال
فقلت له وأين هي قال غدا تنزل بازائها وأخذ يحدثني بحديثه معها فلما
جئنا الى الموضع قال لي انزل ذلك المكان فانها عنده منقطعة فأدركتني
أريحة الحداثة وأخذت منه علامة ما بينهما وقصدت حيث أشار لي فاذا
بيت جديد عن الطريق واذا امرأة جميلة حديثة ظريفة فذكرته لها
ووريت رسالته وأمارته فزفرت زفرة كادت تتفتت أضلاعها قالت
أوحي هو قلت نعم تركته في رحلي وراء هذا الجبل ونحن بائتون
ومصطبحون قالت فاني أرى لك وجها يدل على الخير فهل لك في الاجر

وقلت فقير اليه قالت فالبس ثيابي وادخل في أريكتي ودعني حتى آتيه فانك تحيي نفسين وتغنم أجرا عظيما قلت أفعل ماتريدين قالت انك اذا أصبحت أتاك زوجي في هجعته فقال يافاجرة فاوسعك شتما فاوسعه صمتا ولا تجعل انك سمعته فانه يقول في آخر كلامه اقعي سقاك ياعدوة فضع القمع في هذا السقاء الآخر فانه متخرق قال ومضت بجاءز وجها ففعل ماقالت وقال اقعي سقاك فخيبني الله ان تركت الصحيح وقعت الواهي فما شعر الا واللبن يتسيب بين رجليه فعدا الى زاوية البيت فتناول حبلا ثم ثناه على اثنين فصار على ثمان فجعل لا يتقي به رأسا ولا وجها ولا جنبا فخشيت ان يبدوله وجهي فألزمته الارض فعمل بجنبي وظهري ماترى ومضى عني فلما كان الصباح جاءت فرأت ماحل بي من الشر فابكت علي وقالت بابي أحييت نفسي بقتل نفسك ودخلت تعتذر وتتلهف لمابي وتدعولي وتتضرع فأخذت ثيابي وانصرفت ولا يعدل ظفرهما عندي شيء (قد قدمنا في اخبار قيس بن ذريح) كيف كان سبب تطليقه لبنى وندمه عليها حتى ساءت حاله وتلف عقله واشتد مرضه وأشرف على حتفه فقال أهله لو زوجتموها لييئس منها ويسلاعنها فخطبها رجل من قريش وحكم أباها في المهر فزوجه اياها فحملها معه الى المدينة فقال قيس

وقالوا تراها فتنة كنت قبلها * بخير فلا تندم عليها وطلق
فليت وبيت الله اني عصيتهم * فانبت في رضوانها كل موثق
وكلفت خوض النار سبعين حجة * وكنت على اثباج بحر مغرق
كاني أرى الناس المقيمين بعدها * نقاعة ماء الحنظل المتغلق
وتكره عيني بعدها كل منظر * ويكره سمعي بعدها كل منطق

﴿قال﴾ وخرج ابن أبي عتيق يريد العمرة فنزل بحي قيس بن ذريح فسألهم عنه فقال دلوني عليه فدلوه فلما رآه قيس أقبل عليه ورحب به وقال من أنت حياك الله وعافاك قال فانتسب له ابن أبي عتيق وقال له بين حديثك

الى تجدنى معينالك على أمرك ان شاء الله فاستحى قيس من ذلك وامتنع
ساعة ثم جعل يحدثه حتى بلغ الى خبر القرشى فقال ياهذا انى خرجت من
منزلى أريد العمرة التماسا للثواب وقد عزمت عند ماسمعت ان أترك
ماخرجت اليه فارجع معك احتسابا للاجر فاركب فامض معى أيها الرجل
واكتم شأنك ولا يعلم أحد من أهلك فحمله معه وأقبل راجعا نحو المدينة
فاستقبله أهله واخوانه يسألونه عن سبب رجوعه فجعل يعتذر وهو
يقول لهم عاقنى عن ذلك عائق وأخفى قيسا فى منزله أياما ثم سأل عن
منزل القرشى فدل عليه فبعث مولاة له عجوزا الى لبنى تخبرها بقيس
وبما صار له من عشقها فقالت يعز على وما حيلتى له أطاع أباه وفارقنى
فى غير جرم وقد صرت الآن عند غيره ولا سبيل لى على نفسى وان كبدى
عليه لحرا وان عينى لعبرا مذ فارقته وانها لما علمت بمكانه اشتد ولهها حتى
أنكر زوجها شأنها فسألها عن خبرها وهل رأت شيأ تنكره فجعلت
لا تجيب جوابا وجعل يعتذر اليها فقال لها ما أراك الاذكرت قيسا
فقالت له هيهات وأين أنا من قيس وأين قيس منى الله عن هذا الحديث
قال وبلغ العجوز ابن أبى عتيق ما سمعت من لبنى فقال لها عودى اليها
فقولى لها ان كنت على العهد فانك ستصلين الى ما تريدين قالت اى والله
لا أزال على عهده مقيمة أو يفارق روحى جسدى ولا أكافئه بسوء فعل
كان منه الى قال وأقبل ابن أبى عتيق ومعه جماعة من أشراف قريش
وغيرهم حتى أتوا منزل القرشى زوج لبنى فأكبر مجيئهم فقالوا انا جئناك
فى حاجة ولا سبيل الى ردنا عنها قال لهم قضيت حاجتكم قال ابن أبى عتيق
كائنة ما كانت قال له نعم قال فان حاجتنا ان تجعل أمر لبنى فى يدى قال
القرشى وهل رأيت أحدا اسئل مثل هذا قال فهى حاجتنا وقد جئت
اليها قال فانى قد فعلت قال فيشهدون عليك ان أمرها فى يدى قال نعم قال
ابن أبى عتيق فاشهدوا انها طالق ثلاثا قال قد أجزت قال فما برحوا حتى
نقلها ابن أبى عتيق الى منزله فلما انقضت عدتها زوجها من قيس

وأصدق عنه وجهزها بأحسن جهاز وحملها معه الى منزله فما لبثت
عنده الا يسيرا حتى نهشته الافعى كما قدمنا فى حديثه فمات وماتت بعده
هكذا رواه أحمد بن أبى طاهر ولست أدرى صحة هذا الحديث لانا كنا
قدمنا فى حديثه ما يخالف هذا من انه لم يتزوج بها ثانيا (وحكى) الهيثم
ابن عدى عن الكلبى قال كان ملك النعمان ابن المنذر أربعين سنة لم ير
منه فى ملكه سقطة غير هذه وذلك انه ركب يوما فنظر الى امرأة خارجة
من الكنيسة فأعجبه جمالها وحسنها وهيئتها فقال على بعدى بن زيد
وكان كاتبه وخاصته فقال له يا عدى قد رأيت امرأة لئن لم أظفر بها انه هو
الموت فلا بد فى ان تتلطف فى الجمع بينى وبينها قال ومن هى قال قد سألت
عنها فقيل لى امرأة حكم بن عوف رجل من أشراف أهل الحيرة قال فهل
أعلمت بذلك أحدا قال لا قال فاكتمه فاذا أصبحت فجد بكل كرامة
لنزيلك يريد حكم بن عوف فلما أذن للناس بدأ به وأكرمه وأجلسه معه على
سريره فأعجب الناس حاله وتحدثوا به فلما أمسى فأذن للناس بدأ به
فأكرمه وأجلسه معه وكساه وحمله ففعل به ذلك أياما ثم قال له عدى
أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق أقلهن عندك منزلة ثم قل له فليتزوجها
ففعل فلما دخل عليه قال له يا حكم انى قد طلقت فلانة لك فتزوجها فقال
حكم لعدى ما صنع الملك بأحد ما صنع بى ولا أدرى بما أكافئه فقال عدى
طلق امرأتك كما طلق امرأته ففعل وحظى عدى بها عند الملك وعلم
الرجل انه مكر به فى امرأته وفيها يقول بعض أهل الحيرة

ما فى البرية من أنثى تعادلها * الا التى أخذ النعمان من حكم

(وحدث الزبير) انه كان فتى من عذرة يقال له عمرو بن عود وكان عاشقا
لجارية من قومه تسمى ريا بنت الركين فتزوجها رجل منهم يقال له دهيم
فأبت ريا الا حب عمرو بن عود وأبى الا حبها وقول الشعر فيها والوجد بها
فخرج زوجها بها حتى أتى اليمن فنزل فى بنى الحارث بن كعب فطلبها عمرو
فخفى عليه أمرها ولم يعلم لها خبرا ولا موضعا فمكث حينا لما به يبكى له

من عرفه لولهه وشدة ما أصابه فخرج به أهله الى مكة لعله يتعلق باستار الكعبة عسى ان يرحمه ربه ويذهب ما فى قلبه من حبها فلما كان بمنى نظر اليه فتى من بنى الحرث بن كعب فتعجب مما به وجلس يتحدث معه وسأله عن حاله فشكى اليه عمرو وجده بها وأنشده ما قال فيها فرق له الفتى ورحمه وسأله عن صفتها وصفة زوجها فوصفها له فقال له الفتى عندى خبر هذه المرأة وهذا الرجل منذ سنين قليلة فخر عمرو ساجدا ثم سأله عن حالها فأخبره انها سالمة وانها باكية حزينة لا يهنيها شئ من العيش قال عمرو فهل لك فى صنيعة عندى فقال له الفتى اذن افعل ما بدا لك قال تتخلف عن أصحابك وأتخلف عن أصحابى حتى لا يكون عند أحد منهم علم ثم أمضى معك متنكرا حتى تخفينى فى موضع ثم تعلمها بمكانى قال الفتى لك ذلك فى عنقى فلما كان النفر تخلف كل واحد منهما عن أصحابه فجهد أصحاب عمرو أن لا يتخلف وان يمضوا به فأبى عليهم فودعوه ومضوا ثم مضيا حتى وصل به الفتى فادخله مع أخته وأمرأته فى سترها ومضى الى ريا فاخبرها فكانت تجىء اليه كل يوم فيشكوان ما كانا فيه من البلاء ويتحدثان فاستراب زوجها غشيانها ذلك البيت ولم تكن تغشاه ولا تعرف أهله واستراب أيضا تطييب نفسها وايها البيت كما كانت وخرجت رفقة الى حران فاخبرها انه خارج معها فخرج وأقام ليلتين مختفيا فى موضع وأقبل راجعا فى الليلة الثالثة وقد أمناه وظنا انه قد خرج وأتى عمرو الى ريا فبسطت له بساطا قدام البيت وتحدثا حتى غلبهما النوم وهى مضطجعة الى جانب البساط وعمرو الى الجانب الآخر وأقبل الرجل حتى وجدهما على تلك الحال فنظر فى وجه عمرو فانتبه فزعا فقال له ويلك يا عمرو وما يجيبنى منك بر ولا بحر فقال يا ابن عمى ما أنا والله على ريبة ولا يسألنى الله عن أهلك عن قبيح ولكن نشأت أنا وهى وألفتها ونحن صبيان ولست أستطيع عنها صبرا وما بيننا أكثر من هذا الحديث الذى ترى قال أما أنا فلم أهرب الى هذا البلد الا منك فانصرفا راجعين

وهي معهما حتى قدما على وطنهما فأقاما وهما على تلك الحالة فمات عمرو وجدا بها فكانت لا تزال باكية عليه حتى ماتت بعده بيسير ﴿حكى﴾ ابن عقال عن الشعبي قال حدثني رجل من بني أسد قال اني لذات يوم في الحي اذ أقبل فتى نظيف الثوب حسن الوجه حتى وقف بي فقال يافتى هل نزل بك حي من بني عذرة قال قلت نعم وتلك بيوتهم قال وهل أحسست لي بكرة صفتها كذا وكذا قال قلت لا فنزل ثم قال أأنت منشدها لي في أبيات الحي قال فخرجت وأنا أنشدها حتى مررت بالبيوت وأنا أنشد فقالت لي جارية عند الاكمة فاشرفت على الاكمة فلم أرشيأ فاخبرته فاخرج سفرة معه ودعاني فأكلنا ثم نام وجعلت أراعيه حتى ظن اني قد عت فاخرج حلة من رحله فلبسها ثم اشتمل على سيفه وخرج حتى أتى الاكمة وأنا أتبعه من حيث لا يراني فاذا بها قاعدة كأنها مهرة عربية فسلم عليها وسلمت عليه ثم قال لها يابثينة قلت فيك كذا القيت فيك كذا ولم يزل يحدثها وينشدها وتحدثه حتى اذا كان في السحر وضع رأسه في حجرها فنام ساعة فلم يشعر الا بالفجر قد برق فقالت قم ياجميل لا يفضحنا الصبح قال فرجعت مبادرا حتى رميت بنفسي في الرحل وجاء فأيقظني ثم عمد الى ثوب من ثيابه فكسانيه فلم يزل جميل يغشاني في كل نهار وليل فاصير الى الحي وآتيه فآخذ ميعاد بثينة الى موضع يجتمعان فيه ويتحدثان الى ان فطن بعض الحي بأمري فقالت لي بثينة انج بنفسك فان الحي قد شعروا بك وقل لجميل موعدك وسكن البطن (١) وأتيته وأخبرته فمضى وانقطع عني خبره ﴿وروى﴾ عن يحيي بن خالد بن برمك قال كنت أهوى جاريتي دنانير وهي لمولاتها زهراء فلما وضع المهدى الرشيد في حجري اشتريتها فلم أسر بشيء من الدنيا مثل سروري بها وبملكها فما لبثت الا يسيرا حتى وجه المهدى ابنه الرشيد غازيا الى بلد الروم فخرجت معه فعظم على فراقها وأقلت لا أتهنأ بطعام ولا بشراب

١ اسم موضع خارج المدينة قاموس

صبابة

صبابة بهاوذكرا لها فانا ليلة فى مضربى وقد أصابنى برد شديد وثلج كثير
وأنا أتقلب على فراشى أذكر الجارية اذ سمعت غناء خفيا وصوت عود
بالقرب منى فانكرت ذلك وجلست على فراشى فأشجانى الصوت من غير
ان أفهمه حتى أبكانى فقمت ولم أوقظ أحدا من العسكر حتى انتهيت الى
خيمة صغيرة من خيام الجند فاذا فيها سراج فدنوت منها فاذا فتى جالس
واذا بين يديه ركوة فيها شراب وفى حجره عود يضرب ويتغنى بهذا الصوت
ألا يال قومى اطلقوا غل مرتهن * ومنوا على مستشعر الهم والحزن
ألم بها بيضاء رود اشبابها * لطيفة طى البطن كالشادن الاغن
قال فكلما غنى بيتا بكى وتناول قدحا فصب فيه من ذلك الشراب وشرب
ثم يعود الى مثل ذلك قال فأقمت طويلا أرى ما يفعل وأبكى لبكائه ثم سلمت
فرد السلام واستأذنت فأذن لى فدخلت فلما رآنى أجلنى وأوسع لى
فقلت يا فتى خبرنى بخبرك وما أنت فيه وما سبب هذا البكاء قال أنا فتى من
٢ الانباء لى ابنة عم قد نشأنا جميعا فعلقتها وعلقتنى ثم بلغنا فحجبت عنى
فسألت عمى ليزوجنيها فأجاب فكنت حينا أحتال لمهرها حتى تهيأ
فاديته فدخلت بها فلما ان كان يوم سابعها ضرب على البعث وخرجت
وبى من الشوق اليها ما لا أحده فحملت معى هذا العود فاذا أصبت شرابا
فى بعض هذه القرى أخذت منه شيأ ثم أفعل ما ترى تذكارا لها فقلت
فهل تعرفنى فانكرنى فما أدرى أتعمدا أم حقيقة قال فقلت له أنا يحيى
ابن خالد فلما قلت له ذلك نهض قائما فقلت اجلس فاذا كان غدا فالقنى
فهذا مضربى بالقرب منك فانى أصير منك الى ما تحب قال ووافق ذلك
رسولا فذهب أناه الى المدينة فما كان أسرع شئ حتى دنا الصبح وتهيأ
الناس للرحيل فاول من لقينى ذلك الفتى فاثبت وجهه فقلت له من أنت
وفى قيادة من أنت فخبرنى فمضيت حتى دخلت على الرشيد ومعى
المؤامرات فكنت آمرها على شمعة من عنوان يكون له فيها فقلت وفتى
من الانباء فلان بن فلان يطلق سراحه ويعطى عشرة آلاف درهم

٢ هم قوم من العجم سكنوا اليمن اه قاموس

معونة له ويصحب فلانا الرسول ففعل ذلك وانصرف الى أهله ﴿حكى﴾ ابراهيم بن اسحق الموصلي عن أبي السائب المخزومي قال تعشق العرجي امرأة من قريش فجعلني رسولا اليها فأتيتها برسالته وأخذت موعدها لزيارته الى موضع سماه ثم بكرت أنا فأتت على أتان ومعها جاريتها وجاء على حمار ومعه غلام فتحدثنا ساعة ثم قمت عنهما فوثب عليها ووثب الغلام على الجارية والحمار على الاتان وقعدت أسمع النخير من كل ناحية قال فقال لي العرجي يا أبا السائب هذا يوم غابت عواذله قال أبو السائب فـالي حسبة أرجو ثوابها ارجائي لذلك اليوم وثوابه ﴿قال﴾ كان عمر بن أبي ربيعة يتعشق امرأة يقال لها أسماء فوعدته أن يزورها فتهيأ لذلك يوما فأبطأت عليه فنام فلم يلبث ان جاءت ومعها جارية فضربت الباب فلم يستيقظ فانصرفت وحلفت أن لا تأتيه حولا فقال عمر فيها قصيدته التي أولها

طال ليلي وتعناني الطرب * واعتراني طول هم ونصب
أشهد الرحمن لا يجمعنا * سقف بيت رجبا حتى رجب
فبعثنا طبـــة عالمة * تخلط الجـــد مرارا باللعب
ترفع الصوت اذا لانت لها * وتراخى عند سورات الغضب
فاجابت ناقتي وابتسمت * عن منيف اللون صاف كالشغب

فلما سمع ابن أبي عتيق هذه الابيات قال له الناس في طلب امام مثل قوادتك هذه تقتل على ما يقدرون عليه ﴿قال حماد الراوية﴾ استنشدني الوليد بن يزيد شعرا كثيرا فما استعادني الا هذه الابيات وقال لي يا حماد اطلب لي مثل هذه أرسلها الى سلمى ﴿ويروى﴾ عن حماد الراوية قال أتيت مكة فجلست الى جماعة في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي واذا هم يتذكرون العذريين وعشقهم وصبابتهم قال عمر أحدثكم عن بعض وذلك انه كان لي خليل من بني عذرة وكان مشتهرا بحديث النساء فيتشبب بهن وينشدهن على انه لا عاهر الخلوة ولا سريع

السلوة

السلوة وكان يوافى الموسم فى كل سنة فاذا أبطأ ترجمت له الاخبار وولفت له الاشعار حتى يقدم فيحدث حديث محزون كئيب وانه راث أى أبطأ عنى خبره ذات سنة حتى قدم وفد عذرة فأتيت القوم وأنا أنشد عن صاحبى واذا غلام قد تنفس الصعداء ثم قال عن أبى المسهر تسئل قلت نعم عنه سألت قال هيهات هيهات أصبح والله أبو مسهر لا ميؤسا فيهمل ولا مرجوا فيعلل أصبح والله كما قال الشاعر

لعمرك ما حبى لاسماء تاركى * صحيحا ولا أقضى به فاموت

قلت له وما الذى به قال لى هو ميت موله قلت ومن أنت يا ابن أخى قال أنا أخوه قال قلت وما يمنعك ان تركب طريق أخيك الذى ركبه وتسلك مسلكه الا انك وأخاك كالوشى والبجاد لا ترقعه ولا يرقعك ثم انصرف وأنا أقول

أرائحة حجاج عذرة روحة * ولما يرح فى القوم جعد بن مهجع
خليلان نشكو ما نلاقى من الهوى * متى ما يقل اسمع وان قال يسمع
فلا يبعدنك الله خلا فاننى * سألقى كما لاقيت فى الحب مصرعى

فلما كان فى العام الآتى وقفت فى الموضع الذى كنا نقف فيه بعرفات فاذا شاب قد أقبل وقد تغير لونه وساءت هيئته فما عرفته الا بناقته فاقبل حتى اعتنقنى وجعل يبكى قلت ما هذا وما دهاك وما غالك قال برح الغرام وطول السقام وأخذ يشكو الى فقلت يا أبا مسهر انها ساعة عظيمة ولو دعوت الله كنت تظفر بحاجتك فجعل يدعو حتى اذا بدت الشمس للغروب وهم الناس ان يفيضوا اسمعته يهمهم بشئ فاصغيت اليه مستمعا فجعل يقول يارب كل غدوة وروحه من محرم يعد الضحى واللوحه أنت حسيب الخطب يوم الدوحه قلت يا أخى وما الدوحة قال سأخبرك ان شاء الله فلما قضينا حجنا وأحللنا قلت له حدثنى بخبرك قال نعم أعلمك انى امرؤ ذو مال كثير من نعم وشاء وانى خشيت على مالى التلف فأتيت اخوالى فاوسعوا لى عن صدر المجلس فكنت فى عز اخوالى فخرجت يوما

الى مالى وهو ببعض مياههم وركبت فرسى وعلقت معى شرابا أهدى الى فانطلقت حتى اذا كنت بين الحى ومرعى النعم رفعت له دوحة عظيمة فقلت لو نزلت تحت هذه الشجرة وتروحت مبردا فنزلت وشددت فرسى بغصن من أغصانها ثم جلست وقدمت شرابى فاذا بغبار قد سطع من ناحية الحى فبدت لى ثلاث شخوص واذا فارس يطرد عيرا وأتانا فلما قرب منى اذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء واذا فروع شعره تنال كعبه فقلت فى نفسى غلام حديث السن راكب على فرس أعجلته لذة الصيد وأخذ ثوب امرأته ونسى ثوبه فما لبث ان لحق بالعير فطعنه ثم عطف على الاتان فقتلها ثم قال

نطعنهم سلكا ومخلوجة * كرك لامين على نابل

فقلت له انك قد تعبت وأتعبت فرسك فلو نزلت فثنى رحله وشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة ثم أقبل حتى جلس قريبا منى فجعل يحدثنى حديثا كأنه الدر فذكرت به قول الشاعر

وان حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل

قال فبينما هو كذلك اذ نقر بالسوط على ثنيتيه فرأيت والله خلل السوط بينهما فما ملكت نفسى ان قبضت على السوط قلت أخاف ان تكسرهما فانهما رقيقان قال وهما مع ذلك عذبتان قال ثم رفع عقيرته وجعل يغنى

اذا قبل الانسان من يحبه * ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فان زاد زاد الله فى حسناته * مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا

ثم قال لى ما هذا الذى علقت على سرجك قلت شراب أهداه الى بعض أهلى فهل لك فيه قال وما أكره منه فأتيت به فوضعته بين يديه فلما شرب منه نظرت الى عينيه كأنهما عينا مهاة قد أضلت ولدا فاذعرها قانص فعلم نظرى فرفع عقيرته وجعل يغنى

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له * وهن أضعف خلق الله انسانا

فقلت له من أين لك هذا الشعر قال وقع رجل منا باليمامة فانشدنيه قال ثم قمت لاصلح شيأ من أمر فرسي فرجعت وقد حسر العمامة عن رأسه فاذا غلام كأنما وجهه الشمس حسنا فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأجل صنعك قال فكيف قلت له مما راعني من نورك وبهرني من جمالك قال وما الذي يروعك من رهن تراب ورزق دواب ثم لا تدرى أينعم بعد ذلك أم لا قلت بل يصنع الله بك خيرا ان شاء الله ثم أقبل على فرسه فلما أقبل برقت لي بارقة من الدرع فاذا ثدى كأنه حق فقلت نشدتك الله امرأة قالت اى والله امرأة تكره العهر وتحب الغزل فقلت وأنا والله كذلك فجلست والله تحدثني ما أفقد من أنسها شيأ حتى مالت على الدوحة سكرى فاستحسنت والله يا ابن أبي ربيعة الغدر وزين في عيني ثم ان الله عصمني فالبثت ان انتبهت مرعوبة فلاثت عمامتها برأسها وأخذت رمحها وجالت في متن فرسها فقلت زوديني منك زادا فأعطتني ثوبا من ثيابها فشممت منه كالروض الممطور ثم اني قلت أين الموعد فقالت ان لي اخوة شوسا وأبا غيورا والله لان أسرك أحب الي من ان أضرك قال ثم مضت فكان والله آخر العهد بها الى يومي هذا فهي التي بلغت بي هذا المبلغ وأحلتني هذا المحل قلت له والله يا أبا المسهر والله ما كان يحسن الغدر الا بك فاذا به قد أخضلت لحيته بدموعه باكيا فقلت والله ماقلت هذا الا مازحا وخامرني له رقة فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته وحملت غلاما لي على بعير وحملت عليه قبة ادم حمراء كانت لابي ربيعة وأخذت معي ألف دينار ومطرفا ثم خرجنا حتى أتينا كلبا فسألنا عن الشيخ فاذا هو في نادى قومه فسلمت فقال وعليك السلام من أنت قلت عمر بن أبي ربيعة المخزومي قال المعروف غير المنكر فما الذي جاء بك قلت خاطبا قال أنت الكفء الذي لا يرغب عن حسبه والرجل الذي لا يرد عن حاجته قلت له اني لم آتك عن نفسي وان كنت موضع الرغبة ولكن أتيتكم في ابن أخيكم العذري قال والله انه لكفء الحسب

غير ان بناتي لا يقعن الا في هذا الحي من قريش فعرف الجزع في نفسي وتبين له في وجهي وقال أنا أصنع لك شيأ الا أصنعه لغيرك قلت ماهو قال أخيرها الا انك أنت تختار لغيرك وأومأ الى صاحبي ان أمره ان يخيرها فقلت افعل ثم مضى الشيخ وقد أتى وقال انها قالت ان الامر أمرك والرأي للقرشي يختار لي مارأى فحمدت الله عز وجل وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم وقلت قد زوجت الجارية بجعد بن مهجع وأصدقتها ألف دينار وهي هذه وجعلت كرامتها الغلام والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف فقبله وسألته ان يبني بها من ليلته فأجابني الى ذلك وضربت القبة في وسط الحي وأهديت اليه ليلا وبت عند الشيخ خير مبيت فلما أصبحت غدوت فقمت بباب القبة فخرج الي فقلت له كيف كنت بعدي وكيف هي فقال أبدت لي كثيرا مما أخفت يوم رأيتها فقلت عليك أهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت الى أهلي وأنا أقول

كفيت أخي العذرى ماقد أصابه * ومثلي لأثقال النوائب أحمل

أما استحسنت مني المكارم انها * اذا عرضت اني أقول وأفعل

﴿وحكى المدائني﴾ ان رجلا من بني عقيل كان يسمى صخرا وكانت له ابنة عم تدعى ليلى وكان بينهما حب مبرح ولم يكن أحدهما يصبر عن الآخر ساعة واحدة وكان لهما مكان يجتمعان فيه للحديث في كل ليلة ثم ان أبا صخر زوج صخرا لامرأة من الازد وصخر لذلك كاره فلما بلغ ليلى الخبر قطعته فمرض صخر مرضا شديدا فكان أهله يقولون سحرته ليلى لما كانوا يرونه يصنع بنفسه وكانت ليلى أشد وجدا به وحبا له فأرسلت جاريتها اليه وقالت لها اذهبي الى مكاننا وانظري هل ترى صخرا فاذا رأيتيه فقولي له

تعسا لمن بغير ذنب يصرم * قد كنت ياصخر زمانا تزعم

انك مشغوف بنا متيم * حتى بدا منك لنا التجهم

قال فاتته الجارية فابلغته قولها ووجدته كالشن البالي وجدا وحزنا

فقال قولى لها

فهمت الذى عبرت والله شاهد * لما كان عن رأى ولا كان عن أمرى
فان كنت قد سميت صخرا فاننى * لاضعف عن حمل القليل من الهجر
ولست ورب البيت أبغى سواكم * حبيبا ولو عشنا الى ملتقى الحشر

فقالت له الجارية ياصخر ان كنت كارها التزويج أبيك لك فاجعل أمر امرأتك بيدى لتعلم ليلى انك لغيرها قال ولعهدها راع وانك كنت مكرها قال قد فعلت قالت فهى طالق منك ثلاثا وأخبرت ليلى فاظهرت من ذلك جزعا وتراجعا الى ما كانا عليه من اللقاء والجارية تختلف بينهما ولم يظهر صخر طلاق امرأته حتى قال له أبوه ياصخر الا تبتنى باهلك قال وكيف وقد بانت منى فى يمين حلفت بها فاعلم أبوه أهل المرأة فقالت المرأة تهجو ليلى

ألا بلغا عنى عقيلا رسالة * فما لعقيل من حياء ولا فضل
نساؤكم شر النساء وأنتم * كذلك ان الفرع يجرى على الاصل
أما فيكم حر يغار باخته * وما خير حر لا يغار على الاهل

قال وهجتها ليلى حتى شاع خبرهما وسعت الجارية الى أهل صخر وأهل ليلى وما هما عليه وانهما يخاف عليهما من لؤم الفعل ولم تزل حتى جمعت بينهما وتزوجها *(وحكى الاصمعى)* قال خرج المهدى حاجا حتى اذا كنا ببعض الطريق اذا اعرابى يقول ياأمير المؤمنين جعلنى الله فداك أنا عاشق وكان المهدى يحب ذكر العشاق وحديثهم فوكل به بعض الغلمان فلما نزل أمر باحضاره قال أنت المنادى قال نعم ياأمير المؤمنين قال له ما اسمك قال أبو مياس قال أمير المؤمنين من عشيقتك قال له ابنة عمى وقد أبى على أبوها ان يزوجنيها قال لعله أكثر منك مالا قال انا أكثر منه مالا قال له فما قصتك قال له ادن رأسك منى فجعل المهدى يضحك وأصغى اليه برأسه قال له انى هجين قال له ليس يضرك ذلك اخوة أمير المؤمنين وأكثر أولاده هجناء قال له وأين عمك قال له على ثلاثة أميال قال فارسل

أمير المؤمنين فى طلبه فجىء به فقيل له مالك لا تزوج أبا مياس فانى أرى عليه نعمة قال متاع سوء وليس مثلى يزوج مثله قال فان الذى كرهت ليس مما يعاب به عندنا وأنا معط صداق ابنتك عشرة آلاف درهم ومعوضك مما ذكرت عشرة آلاف درهم قال فذلك اليك قال فخرج أبو مياس وهو يقول

ابتعت ظبية بالغلاء وانما * يعطى الغلاء لمثلها أمثالى
وتركت أسواق القباح لاهلها * ان القباح وان رخصن غوالى

﴿قال سعيد الصغير﴾ كان المنتصر بالله فى أيام امارته وجهنى الى مصر فى بعض أمور السلطان فاعترضت عند بعض النخاسين جارية تامة المحاسن حاذقة بالغناء فابى مولاها ان يأخذ منى الا ألف دينار ولم تكن تحضرنى ولا وجدت ان أقرضها وأزعجنى الشخوص وقد علقها قلبى وأخذنى المقيم المقعد من حبها فلما قدمت الى المنتصر وعرفته ما بعثنى فيه سألنى عن حالى وخبرى فاخبرته بمكان الجارية وكلفى بها وقصتى مع مولاها فاعرض عنى وصار ما بى يزداد ولم أملك صبرا وجعل المنتصر كلما دخلت وخرجت من عنده يذكرها ويهيج أشواقى اليها ويعيرنى بقلة الصبر عنها وكان قد أمر ابن الخصيب ان يكتب الى مصر فى شراها وحملها اليه من حيث لا أعلم ولا أدرى فلما صارت اليه وعرضت عليه أمرها فغنت وعذرنى فامر قيمة جواريه فاصلحت من شأنها فلما ذهب عنها ألم السفر استجلسنى يوما وهو على فراشه فلما غنى جواريه كانت آخرهن فلما سمعتها عرفتها وكرهت ان أعلمه حتى ظهر على ما كتمت وغلب على الصبر فقال لى مالك يا سعيد قلت خير أيها الامير قال فاقترح عليها صوتا كنت أعلمته انى سمعته منها فاستحسنه من غنائها فغنته فقال هل تعرف هذا الصوت قلت اى والله أيها الامير فما تكون المعرفة وقد كنت أطمع فى صاحبته فاما الآن فقد يئست منها وكنت كقاتل نفسه بيده وجالب حتفه الى حياته قال والله يا سعيد ما اشتريتها الا لك وما يعلم الله انى رأيت

لها وجها الا الساعة التي أدخلت على واغا تركتها حتى استراحت
من تعب السير وهى لك فاكببت على رجليه ودعوت له بما أمكنني من
الدعاء وشكره عنى من حضر من الجلساء وأمر بها فحملت الى منزلى فما
أحد أحظى عندى منها ولا لى ولد أحب الى من ولدها ﴿ومن أحاديث
المؤلفين﴾ ما حكاه أبو الحسن المدائني قال كان بمكة سفيه يجمع بين النساء
والرجال على أقبح الريب وكان من قريش ولم يذكر اسمه قال فشكا أهل
مكة ذلك الى الوالى فنفاه الى عرفات فاتخذ بها منزلا ودخل مكة مستترا
فلقى حرفاءه من الرجال والنساء فقال لهم وما يمنعكم منى قالوا وأين بك
وأنت بعرفات قال لهم حمار بدرهمين وقد صرتم الى الامن والنزهة
والخلوة واللذة قالوا نشهد بانك صادق فكانوا يأتونه فكثر ذلك حتى
أفسد على أهل مكة احداثهم وسفهاءهم فعادوا بالشكاية على أميرهم
فارسل وراءه فأتى به فقال أى عدو الله طردتك من حرم الله عز وجل
فصرت الى المشعر الاعظم تفسد وتجمع بين الخبائث فقال أصلح الله الامير
يكذبون على ويحسدوننى فقالوا للوالى بيننا وبينه واحدة تجمع حمير
المكارين وترسلها نحو عرفات فان قصدت داره لما اعتادت من السير لها
فالقول كما قلنا والا فالقول كما قال فقال الوالى ان فى هذا الدليلا وأمر
بحمير المكارين فجمعت ثم أرسلت فقصدت نحو منزله وجاءه بذلك امناؤه
فامر بتجريده فلما نظر الى السياط بكى فقال له ما يبكيك يا عدو الله قال
والله أصلح الله الامير ما من الضرب جزعت ولكن يسخر منا أهل العراق
ويقولون ان أهل مكة يجيزون شهادة الحمير فضحك الوالى وأمر بتخليته
﴿قال المدائنى﴾ كان مزيد يسبق الحجاج فى كل عام الى الحج وكان يأتى الى
المدينة فى ثلاثة أيام على راحلته فتأخر مرة عن وقته الذى كان يجىء فيه
لعلة أصابته وكان لامرأته صديق صواف فلما تأخر ظن الصواف انه
قدمات فأقام عندها ولم يبرح وجاء مزيد فدخل على الوالى فاخبره ودنا
الى منزله فلما رأى انه قرب من الباب تطلع من كوة واذا الصواف مع

امرأته في البيت فلم يستفتح فمضى الى المخنثين فدعاهم فاتوا معه فوقفوا
على بابه وأمرهم فضربوا الطبول وزمروا فاجتمع الناس من كل ناحية
فاقبلوا يقولون له يا أبا اسحق أشئ حدث فيقول لهم تزوجت امرأتي
فقالوا له ما بك وما هذه القصة فلم يخبرهم بشئ فوقف الصواف خلف
الباب وقال يا أبا اسحق ادن أكلمك فدنا منه فقال اتق الله في الفضيحة
وأنا أفتدي منك قال له اردد على مهرها ونفقتي عليها فقد أفسدتها قال
وكم ذلك قال خمسون دينارا فكتب رقعة الى غلامه في السوق فبعث بها
من قبض المال وجاء به فقال أي بني تفرقوا انما كنت أمزح فقنع رأس
الصواف وأنزله وقعد مع امرأته وسكت ﴿قال أبو عثمان الجاحظ﴾ كان
عندنا بالبصرة مخنث يجمع بين الرجال والنساء في منزله وكان بعض
المهالبة يتعشق غلاما فلم يزل المخنث يتلطف له حتى أوقعه قال فلقيته
من غدو قد بلغني الخبر فقلت له كيف كانت وقعة الجعرانة فقد بلغني
خبرها قال لما تدانى الاقوام وقع الالتزام ورق الكلام والتفت
الساق بالساق ولطخ باطنها بالبصاق وجعلت الرماح تمور وقرع البيض
بالذكور وشفيت حرارات الصدور ومال كل واحد فاصيبت مقاتل
كل هجر وانعقد الوصل واتصل الحبل فلو كان قد أعد هذا الكلام
لمستلتي قبل ذلك بدهر كان قد أجاد وملح ﴿وحكى﴾ محمد بن سلام عن
يونس قال حج سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة بألف دينار وكان
اسمها العالية فلما رحل بها قال الحرث بن خالد المخزومي

ظعن الامير باحسن الخلق * وغدا بلبل مطلع الشرق
وبدت لنا من تحت كلتها * كالشمس أو كغمامة البرق

قال وبلغ خبرها يزيد بن عبد الملك فقال لقد هممت ان أحجر على سليمان
فبلغ سليمان ذلك فاتقاه وردها على مولاها فاشتراها رجل من أهل
مصر من مولاها باربعة آلاف دينار ورحل بها الى مصر وكانت في
نفس سليمان الى ان ولي الخلافة فقالت له يوما سعدى بنت عبد الله بن عمر

ابن عثمان زوجته يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه قال نعم
حبابة فارسلت سعدى رجلا الى مصر فاشتراها بخمسة آلاف دينار
وسار بها الى سعدى فاستأذنت سليمان ان تتنزه في بستانه بالغوطة وان
يزورها اذا استزارته فاذن لها فصبغت حبابة وهيأتها وأعلمتها بمكانها
من قلب سليمان وضربت له قبة وشي وفرشتها ثم أرسلت الى سليمان
تستزيره فزارها وقد أجلست حبابة وراء سرير وقالت له يا أمير
المؤمنين هل بقي في نفسك شيء تتمناه قال نعم حبابة قالت يا أمير المؤمنين
اني قد أخذت لك جارية ذكرت انها قد أخذت عن حبابة فهل لك ان
تسمعها فقال ان شئت قالت غني يا جارية فغنت سليمان صوتا كان سليمان
قد سمعه منها بالمدينة قال فلما سمعه قال حبابة ورب الكعبة فقالت هي
حبابة ولك اشتريتها فشأنك بها فقامت وانصرفت وخلاهما فكان سليمان
لا يزال يشكر سعدى على ذلك ﴿وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى﴾ ان عليا
عليه السلام ولى زيادا فارسا حين أخرج منها سهل بن حنيف فضرب
بعضهم ببعض حتى غلب عليها وما زال يتنقل في كورها حتى أصلح أمر
فارس ثم ولاه على اصطخر وكان معاوية يتهدده ثم أخذ بشر بن ارطاة
ابنته وكتب اليه يقسم عليه ليقتلنها ان لم تدخل في طاعة معاوية وتوفى
علي عليه السلام فكتب الى معاوية يدعوه الى طاعته وان يقره على
عمله ويستخلفه اذا كان أبو مريم السلولي شهد عنده انه جمع بين أبي
سفيان وسمية في الجاهلية على الزنا وكانت سمية من الزانيات بالطائف
تؤدي الضريبة الى الحرث بن كلدة وكانت تنزل بموضع ينزل فيه البغايا
بالطائف فقال له كره ترك المشورة من العي فشاور زياد المغيرة بن شعبة
قال ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول فان هذا الامر لا يمد أحد
اليه يدا الا الحسن بن علي وقد بايع لمعاوية فخذ لنفسك وانقل أصلك
الى أصله وصل حبلك بحبله وأعر الناس منك اذنا صماء وعينا عمياء فقال
له زياد يا ابن شعبة لقد قلت قولا لا يكون غرسه في غير منبته لا أصل له

بغذيه ولا ماء يسقيه وعزم على ذلك وقبل رأى المغيرة وقدم على معاوية فارسلت اليه جويرية عن أمر معاوية فاتاها ودنت له وكشفت شعرها بين يديه وقالت أنت أخي أخبرني بذلك أبي ثم أخرجه معاوية الى المسجد وجمع الناس فقام أبو مريم السلولي فقال أشهد ان أبا سفيان قدم علينا بالطائف وأنا خمار في الجاهلية فقال ابغني بغيا فاتيته فقلت له لم أجد الا سمية جارية الحرث بن كلدة فقال ائتني بها على ذفرها وقذرها فقال زياد مهلا انما بعثت شاهدا ولم تبعث شاتما فقال أبو مريم لو كنتم أبغضتموني كان أحب الي فاشهدت الا بما عاينت ورأيت فوالله لقد أخذ بكم درعها وأغلق الباب عليها وقعدت فلم ألبث ان خرج علي يمسح جبينه فقلت مه يا أبا سفيان فقال ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثدييها وذفر من فيها فقال زياد أيها الناس هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ولست أدري حق ذلك من باطله ومعاوية والشهود أعلم بما قالوا فقام يونس بن الثقفي فقال يا معاوية قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش وشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لاطيرن بك طيرة بطيأ وقوعها الا الى الله أقع قال نعم فاستغفر الله فقال ابن مفرغ ويقال انه لعبد الرحمن بن أم الحكم ونحلها ابن مفرغ

ألا أبلغ معاوية بن صخر * مغلغلة على الرجل اليماني

اتغضب ان يقال أبوك عف * وترضى أن يقال أبوك زان

فاشهد ان آلك من زياد * كآل الفيل من ولد الاتان

﴿وروى الهيثم بن عدي﴾ ان الحسن بن علي تزوج حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان المنذر بن الزبير يهواها فبلغ الحسن عنها شيأ أنكره فطلقها فخطبها المنذر فابت ان تتزوجه وخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجته فرمى اليه المنذر بن الزبير عنها شيأ فطلقها وخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه فدس اليها امرأة من قريش

فأتتها فتحدثت معها ثم ذكرت لها المنذر وأعلمتها أنه قد شهر بحبها فقالت
قد خطبني فآليت أن لا أتزوجه قالت ولم ذلك فوالله انه لفتى قريش
وشريفها وابن شريفها قالت شهرني وفضحني قالت لها فالآن ينبغي ان
تتزوجيه ليعلم الناس ان كلامه كان باطلا فوقع في نفسها كلامها وجاءت
المرأة الى المنذر فقالت اخطبها فقد أصلحت لك قلبها فخطبها فتزوجته
فعلم الناس انه كان يكذب عليها وكان في نفس الحسن منها شيء وكان
اغاظه لما أبلغه عنها المنذر فقال الحسن يوما لابن أبي عتيق هل لك
في العقيق قال نعم فعدل الحسن الى منزل حفصة فدخل عليها فتحدثا
طويلا ثم خرج ثم قال لابن أبي عتيق يوما آخر هل لك في العقيق يا ابن
أبي عتيق فقال له الا تقول هل لك في حفصة فنصير اليها على علم وأسعى
لك منها فيما تحب فقال الحسن استغفر الله ﴿و يروى﴾ ان عبد الله بن
أبي بكر الصديق رضي الله عنه تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل
فعشقها وأحبها حبا شديدا حتى منعته عن حضور الصلوات في جماعة
فامره أبو بكر رضي الله عنه بطلاقها ففارقها فوجد عليها وجدا عظيما
فامره ان يراجعها فراجعها وكانت عنده حتى توفي عنها وكان قد أخذ عليها
عينا أن لا تتزوج بعده فجاءها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأفتاها
ان تنكح فقالت لست أقبل في هذا كلامك وحدك لانه بلغها انه يريد
ان يتزوجها فجاءها بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فافتاها بذلك فخطبها
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتزوجته فبعث اليها بعشرين دينارا
كفرت بها عن يمينها ثم توفي عنها فخطبها طلحة بن عبيد الله فاتى الزبير
ابن العوام هنادا بن الاسود وكان لهناد امرأة منكرة كانت صديقة
لعاتكة فقال له الزبير ما أنا عنك براض حتى تزوجني عاتكة بنت زيد
قال فحلف هناد لامرأته ان هي لم تزوج الزبير لعاتكة ليجلدنها مائة
جلدة فانطلقت امرأة هناد لعاتكة وكانت عندها حتى اذا أتاها رسول
طلحة بن عبيد الله فقالت له فديتك ومن يرد طلحة لقدمه وشرفه وسخائه

ولكن ردى رسوله اليوم فانه سيزيدك ضعفا ما أراد بعطيك فردته
فقالت امرأة هناد لهناد الق طلحة فقل له اما تستحى ان عاتكة ردتك
وحلفت أن لا تتزوجك ففعل ذلك فقال طلحة لا أتزوجها أبدا فامرت
الزبير ان يرسل اليها فجاءها رسوله وهى عندها فقالت لها امرأة هناد
قد بلغك ما فى حق الزبير من الشدة اما والله لو تزوجتيه ثم غلبت عليه
ليكونن لك بذلك الشرف فى نساء قريش ثم لم تزل بها حتى تزوجت الزبير
وسنذكر بقية خبرها فى موضعه بعد هذا ان شاء الله (قال اسحق) بن
ابراهيم الموصلى كان ابن زهير المداينى مخنثا وكان يؤلف بين الرجال
والنساء وكانت له قبة خضراء وكان فتيان قريش يقولون من لم يدخل
قبة ابن زهير لم يصنع فى الفتوة شيأ قال فواعد رجل صديقة له الى قبة
ابن زهير فجاءت بعد العتمة وجاء الرجل فتعشيا فقالت المرأة اشتهى نبيذا
فقال صاحبها لابن زهير اطلب لنا نبيذا قال من أين لنا النبيذ فى هذه
الساعة قال لا بد منه فلما ألح عليه عمد الى حضض فضربه بماء وصيره
فى قنينة ثم جاءه به فقال والله ما وجدنا غير هذا فصب الرجل منه فى قدح
فذاقه فوجده مرا فكره ان يعيبه فيكرهها اليها فشرب ثم صب فسقاها
فلما صار فى بطنه تحرك فقال لابن زهير أين المخرج فصعد الى ان حركها
بطنها فصعدت الى ان تحرك بطنه فصعد فلم يزالا كذلك ليلتهما فقال
ابن زهير امرأته طالق ان كان التقيا الا على الدرجة حتى أصبحا ما
يختلفان وجاء الصبح ولم يقضيا حاجة لانهما يطلبان النبيذ فى منزل ابن
زهير القواد بعد العتمة (وكان) جميل أيضا لما اشتهر فى بثينة توعده أهلها
فكان يأتيها سرا فجمعوا له جمعا يرصدونه فقالت بثينة يا جميل احذر
القوم فاستخف وقال فى ذلك

ولو أن ألغادون بثنة كلهم * غيارى وكل حارب مزمع قتلى
لحاولتها اما نهارا مجاهرا * واما سرى ليل وان قطعوا رجلى

ء لتقى جميل وكثير فشكا كل واحد منهما الى صاحبه انه محصور

لا يقدر ان يزوره فقال جميل لكثير أنا رسولك الى عزة قال فأتهم فانشدهم ثلاث نوق سود مررن بالقاع ثم احفظ ما يقال لك قال فأتاهم جميل ينشدهم فقالت له جاريتها لقد رأينا ثلاثا سودا مررن عهدي بهن تحت الطلحة فانصرف جميل حتى أتى كثيرا فاخبره فاقاما فلما كان نصف الليل أتيا الطلحة فاذا عزة وصاحبة لها فتحدثا طويلا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميل جميلا وكان كثير دميما فغضب كثير وغار وقال لجميل انطلق بنا قبل ان نصبح فانطلقا ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة قال في أول الصيف وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم فخرجت معها جارية ترحض ثيابا قال فخرج كثير حتى أناخ بآل بثينة فقالوا يا كثير حدثنا كيف قلت لزوج عزة حين أمرها بسبك قال كثير خرجنا نرمي الجمار فوجدني قد اجتمع الناس بي فطالعني زوجها فسمع مني انشادا فقال لعزة اشتميه فقالت ما أراك الا تريد ان تفضحني فالح وحلف عليها فقالت مكرهة المنشد بعض بظر أمه فقلت

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من اعراضنا ما استحلت

فقالت بثينة أحسنت يا كثير وقلت أبياتا لعزة أعاتبها فيهن وانشدتها

فقلت لها يا عز ارسل صاحبي * على بعد دار والموكل مرسل

بان تجعلي بيني وبينك موعدا * وان تأمريني بالذي فيه أفعل

وآخر عهد منك يوم لقيتكم * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فقالت بثينة يا جارية أبغنا حطبا من الروضات لنذبح لكثير غريضا من البهم فراح الى جميل فاخبره ثم ان بثينة قالت لبنات خالتها وكانت اطمأنت اليهن وتطلعهن على حديثها اخرجن بنا الى الدومات فان جميلا مع كثير وقد وعدته فخرج جميل وكثير حتى أتيا الدومات وجاءت بثينة وصواحبها فما برحن حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن من ذلك المجلس ولا فهما أحسن من فهم أحدهما من صاحبه ما أدري أيهما كان أفهم ﴿قال أبو عثمان الجاحظ﴾ اذا ابتلي الرجل

بمحبة امرأة لنظرة نظر اليها ولمحة لمح منها ولم يكن يزوج مثله مثلها وكانت ممتنعة فالحيلة في ذلك ان يرسل اليها امرأة قد كملت فيها سبع خصال منهن ان تكون كتومة السر وان تكون خداعة لها معرفة بالمكر وان تكون فطنة متيقظة وان تكون ذات حرص وان تكون ذات حظ من مال ولا تحتاج الى الناس ولا ينكر الناس اختلافها ودخولها عليها بان تكون اما بياعة طيب أو قابلة أو صانعة لآلة العرائس وتقدم اليها أرق وألطف ما تقدر عليه ولا تدع شيأ من الشكوى واللطف وتخبرها ان نفسه في يدها وانها ممثلة بين عينيه وأنه لا ينسى ذكرها وأنه يراها في المنام كل ليلة تضربه وتخاصمه وأنه ان لم يرمنها نظرة أو خلوة هلك وانه لم يمنعه من خطبتها الا خشية الامتناع من أهلها ان كان دونهم في الحسب والجاه والمال وخوف التمنع منها هي أيضا فانها اذا سمعت هذا وأمثاله مرة أو مرتين لم تدع ان تمكنه بمال ان قدرت عليه وأذنت له في خطبتها من أوليائها فاذا شاوروها في ذلك رضيت وقد تمكن قوله من قلبها فوصل منها الى ما أراد بحلال التزويج دون حيلة من حيل الحرام ﴿ وقال هرون بن المنذر ﴾ رأيت عطيطا المغني يضرب جواريه على انه ليس لهن من يعشقهن فقلت له ويحك أما تتقي الله أي ذنب لهن في هذا ما أهون عليك قال اذا أردت أن أشتري كسوتهن من أين قات تكسوهن لانك مولاهن فقال وما لهن الزواني الا يجعلن كسوتهن عليهن فقلت انكن سمعتن ما قال قلن نعم والله ونجعل له أولادا قال فتنفس وقال يقولون مالا يفعلون ﴿وقال الزبير بن بكار﴾ خرج أبو السائب المخزومي وعبد الله بن جندب الى موضع يتنزهان فيه فلقيا ابن المولى الشاعر فصاح به ابن جندب فقال ما شأنك وأنشد

وأبكي فلا ليلى بكت من صبابة * لما بي ولا ليلى لذي الود تبذل
وأخضع للعتبى اذا كنت مذنبا * وان أذنبت كنت الذي أتنصل

وقد زعمت أنى سلوت وأننى * تبا فى عن اتيانها متعلل

قال ابن جندب من ليلى هذه امرأته طالق ان لم أفدها قال هى والله يا أخى فر بى سميتها ليلى ﴿قال الزبير بن بكار﴾ قال عمر بن أبى ربيعة المخزومى

أحن اذا رأيت جمال سعدى * وأبكى ان سمعت لها حنينا

وقد أزف المسير فقل لسعدى * فديتك اخبرى ماتأمرينا

قال فسمعه ابن أبى عتيق فخرج حتى أتى الحيان من أرض غطفان ثم أتى خيمة سعدى فاستأذن عليها وأنشدها البيتين ثم قال لها ماتأمرينه به قالت آمره بتقوى الله ﴿أبو غسان المهدى﴾ قال مر أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته بطريق من طرق المدينة فاذا جارية تطحن وتنشد

وعشقته من قبل قطع تمائمى * متمايسا مثل القضيب الناعم

وكأن نور البدر سنة وجهه * ينمى ويصعد فى ذؤابة هاشم

فدق عليها الباب فخرجت اليه فقال ويلك أحرة أم مملوكة قالت مملوكة يا خليفة رسول الله قال فمن هو قال فبكت ثم قالت يا خليفة رسول الله بحق القبر الا انصرفت عنى قال وحقه لا أريم مكانى أو تعلمينى فقالت

وأنا التى لعب الغرام بقلبها * فبكت بحب محمد بن القاسم

قال فسار الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وقال هؤلاء فتن الرجال فكم مات بهن كريم وعطب عليهن سليم ﴿وكان﴾ فتى من أهل الكوفة عاشقا لجارية وكان أهلها قد أحسوا به فتوعدوه ورصدوه فلم يقدر على الوصول اليها فواعدها فى ليلة مظلمة أن تسير اليه وأتى فتسور عليها حائطا فعلم به أهلها فأخذوه وأتوا به خالد بن عبد الله القسرى وقالوا انه لص تسور علينا من الحائط فسأله خالد عن ذلك فكره ان يجحد السرقة فيفضح الجارية فقال له أسارق أنت قال نعم أصلح الله الامير فأمر بقطع يمينه

وكان للجارية ابن عم من أهل الفضل قد اطلع على بعض شأنه فأخذ رقعة وكتب فيها هذه الابيات

أخالد قد والله أوطئت عشوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما لم يجن عمدا لانه * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذى قد خفت من قطع كفه * لالفيت فى أمر الهوى غير ناطق
اذا مدت الغايات فى السبق للعلى * وأنت ابن عبد الله أول سابق

ثم حذف الرقعة فوقعت فى حجر خالد فقرأها ثم أمر بالفتى الى السجن وصرف القوم فلما خلا بمجلسه دعا به فسأله عن قصته فعرفه فبعث الى أبى الجارية فقال قد عرفت قصة هذا الفتى فما يمنعك من تزويجه قال خوف العار قال لا عار عليك فى ذلك والعار أن لا تزوجه فتكشف أمره فسأله أن يزوجه ففعل فدفع اليه عن الفتى خمسة آلاف درهم وأمره بتعجيل اهدائها اليه * سأل رجل بعض العلماء * عن الواصلة فقال انك انفر قال قالت عائشة رضى الله عنها ليست الواصلة التى تعنون لانهم كانوا يقولون الواصلة ان تكون المرأة بغيا فى شبيبتها فاذا شابت وصلته بالقيادة (وكانت كلمة) التى يضرب بها المثل فى القيادة صبية فى الكتاب تسرق أقلام الصبيان فلما شبت زنت فلما شابت قادت فلما أقعدت اشترت تيسا وكانت تنزيه بين يديها * ذكر المداينى * ان بعض عمال البصرة كان لا يزال يأخذ قوادة فيحبسها فيأتى من يشفع فيها فيخرجها فأمر صاحب شرطته وكتب رقعة يقول فيها فلانة القوادة تجمع بين النساء والرجال لا يتكلم فيها الا زان فكان اذا كلمه فيها أحد قال اخرجوا قصتها حتى اذا قرئت قام الرجل مستحيا * وحكى يقطان بن عبد الاعلى * قال رأيت القين يضرب جاريته سلمى المغنية ويقول ما جئتينى بهدية ما جئتينى بخلعة قط هل هو الا هذا الكرى فهبك لم تقدرين على شئ ما تقدرين على ولد فقالت هذه المرة أجيئك بابن فقال يا زانية ان لم تصدقى لاضربنك ألف سوط فرأيتها بعد ذلك ولها ابن متحرك تخدمه فقلت لها

وقد وفيت لمولاك قالت نعم ولكني كم ناكني رجل حتى جاءني هـذا الولد فقال مولاها صدقت فهل ينبت الحب الا ان يزرع فعجبت من كشخنـة المولى وطيب نفس الجارية وهذا الباب أعزك الله أكثر من ان يحاط به ولكني اختصرت لك من ملح أحاديثهم مافيه مستمتع وستقف من الاخر التي أفردناها من أخبار القيان على كثير منه وقد قالت الشعراء في الرسل في الجاهلية والاسلام من ذلك قول حميد بن ثور الهلالي

خليلي اني مشتك ما أصابني * لتستيقنا ما قد لقيت وتعلما
أمنتكما ان الامانة من يخن * بهـا يحتمل يوما من الله مأثمـا
فلا تفشيا سري ولا تخذلا أخا * أبثكما منه الحديث المكتمـا
لتنخـــذا لي بارك الله فيكما * الى أهل ليلى العامرية سلما
فان كان ليلا فالوناه هديتمـا * وان خفتمـا ان تعرفا فتلثمـا
وقولا خرجنا تاجرين فأبطأت * ركاب تركناها بتثليث قيمـا
فان أنتمـا اطمأننتمـا وأمنتما * وأخليتمـا ماشئتمـا فتكلما
وقولا لها ماتأمرين بصاحب * لنا قد تركت القلب منه متيمـا
أبيـني لنـا انا رحلنـا مطينا * اليك ومانرجوك الا توهمـا
الا هل صدا أم الوليد مكلم * صداي اذا ما كنت رمسا وأعظما

(وقال المأمون لرسول بعثه)

بعثتك مرتادا ففزت بنظـرة * وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مقربا * فياليت شعري عن دنوك ما أغنى
ورددت طرفا في محاسن وجهها * ومتعت باستمتاع نغمتها الاذنا
أرى اثرا منهـا بعينيـك لم يكن * لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا
فياليتني كنت الرسول فأشتفي * وكنت الذي يعصى وكنت الذي أدنى

(وقال أبو الطيب المتنبي في مثل ذلك)

مالنا كلنـا جوي يارسول * أنا أهوى وقلبـك المتبول
كلما عاد من بعثت اليهـا * غارمني وخان فيمـا يقول

أفسدت بيننا الامانات عينا * هاوخانت قلوبهن العقول
واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل قلب دليل

﴿وقال بعض المحدثين﴾

ياسوء منقلب الرسو * ل مخبرا بخلاف ظنى
انى أعيذك أن تكو * ن شغلتنى وشغلت عنى

﴿وأنشد لابى نواس﴾

يامن أتى من دون حاجته * باب واحراس به وكلوا
ثمر ثيابك قد شغلت بها * لوعم خلق الله لاشتغلوا
وانظر رسولا اذا ملاطفة * لولا مرارة غيه عسل
ممن عليه غباوة وترى * أفعاله كالنار تشتعل
لا يعقلون به اذا خرجوا * من الابتذال ولا اذا دخلوا

﴿وأنشد أحمد بن عيسى الاهوازى فى قوادة﴾

تكاد لولم تكن انسية * تجرى من الانسان مجرى الدم
لا يعصم المقدار من كيدها * محله فى الموضع الاعظم

﴿وأنشد لآخر أيضا﴾

اذا أردت ان تناجى غاده * من الغوانى صعبة المقاده
فادسس لها عجيزا قواده * أدب فى الظلماء من جراده
قد انحنت من شدة العباده * تلوح فى جبينها السجاده
كالحسن البصرى أو قتاده * فى يدها سبحتها الصياده
قد أحكمت من شدة المراده * قد ألفت غرائب القياده
فانها تدخل كالمرتاده * بذكر كل غافل معاده
وتصف الشقاء والسعاده * حتى اذا انصبت لها الوساده
ولاحظت بعقله وقاده * ثم خلت بالغادة المراده
تروضها باللجم المقاده * حتى ترى طاعتها سعاده

﴿وقال أحمد بن أبى طاهر﴾

وأرسلتها أمضى من السيف مقدما * وأسرع من سيل بليل اذا احتفل
تدب دبيب النمل فى كل مفصل * لطافتها فى الرأى والقول والحيل
يذل لها الصعب الجموح قيادة * وتهدى الى طرق الضلال فلا تضل
يرى الفطن الداهى عليها عبادة * اذا ما رآها وهى أختل من ختل
يؤلف بين الاسد والشاء لطفها * ويستنزل العصماء من شعف القلل
ولو انها شاءت باهون سعيها * لالفت الذئب الازل مع الجمل
ولو جبل رامت ازالة ركنه * برقيتها يوما لزل بها الجبل
يغر العيون زهدها وخشوعها * وتسبيحها عند الشروق وفى الاصل
تسهل ما قد كان وعرا طريقه * وتفتح ما قد كان غلقا وما قفل

﴿وأنشد لابن بشير﴾

وزوله فى الذى رامت يتاح لها * من التجارب أسباب المقادير
لاتحرز الخود منها ان تدب لها * مشيد محكم البنيان والسور
كأن فى قلب من يصغى لمنطقها * من حرما نعتت لسب الزنابير
أخفى من الروح فى تأليف معصية * اذا تأملت من لطف وتقدير
قد ناطت الدهر مصباحا بمعصمها * تشيمها بذوات البر والخير
خلت بواضحة الخدين مخطفة * كغصن بان رشيق القد ممطور
باتت تعلمها فى طول ليلتها * تقارب الخطو فى ميل وباطير
رفقا وتقليب عين عند كل فتى * يرنو بمقلتها أنفاس مبهور
مازلت أسئلها حظا وترفع لى * فى السوم حتى أجابت بعد تعسير
لبذل أصغر دهرا كنت أدخره * أزهو برؤيته زهو المياسير

﴿وأنشد لاسحق بن خلف البصرى﴾

لو ان رقيتها فى صخرة نطقت * أو اذن خرساء أضحت غير خرساء
أخفى من الروح اذ دبت لحاجتها * ولو تشاء مشت رفقا على الماء

﴿وأنشد الحجار﴾

ظلم الناس حسينا * ورموه بالكبائر

ماله عيب سوى اصـ * ـلاحه بين العشائر

﴿وأنشد لعبد بن وهب﴾

قالوا ابن عمة قواد فقلت لهم * كذبتم ما أبو حفص بقواد
لكنه رجل يخليك منزله * بالدرهمين وما يبقى من الزاد

﴿وأنشد ابن الاعرابى﴾

هل من رسول لطيف * الى غـــزال عنيـف
له سريرة ذئب * وسمت قس عفيـــف
تكامل الظرف فيه * ففاق كل ظـــريف

﴿ومن ملح ما قيل فى هذا المعنى قول ابن الدمينة﴾

خليلى سـيرا مسعدين فسلما * على حاضر الماء الذى تردان
ومرا فقولا نحن نطلب حاجة * ومرا فقولا نحن منصرفان

﴿باب خلق النساء﴾

اذا كانت المرأة ضخمة فى تمسمد وعلى اعتدال فهى ربحلة فاذا زاد ضخمها ولم تقبح فهى سبحلة فاذا كانت طويلة قيل جارية سبطة وعيطبول فاذا كانت بها مسحة من جمال فهى جميلة ووضيئة فاذا أشبه بعضها فى الحسن بعضا فهى حسانة فاذا استغنت بجمالها عن الزينة فهى غانية فاذا كانت لا تبالى ان تلبس ثوبا حسنا ولا قلادة فاخرة فهى معطال فاذا كان حسنها ثابتا كأنها وسمت به فهى وسيمة فاذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهى قسيمة ﴿وقالوا﴾ الصباحة فى الوجه الوضاءة فى البشرة الجمال فى الانف الحلاوة فى العينين الملاحة فى الفم الظرف فى اللسان الرشاقة فى القد اللباقة فى الشمائل كمال الحسن فى الشعر والمرأة الرعبوبة البيضاء والزهراء التى يضرب بياضها الى صفرة كلون القمر والبدر والهجان الحسنة البياض والمرأة طفلة ما دامت صغيرة ثم وليدة اذا تحركت ثم كاعب اذا كعب ثديها ثم ناهد اذا زاد ثم معصر اذا أدركت ثم خود اذا

توسطت الشباب والزجاء الدقيقة الحاجبين الممتدتهماحتى كأنهما
خطا بقلم والبلج ان يكون بينهما فرجة وهو يستحب ويكره القرن وهو
اتصالهما والدعج ان تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة والبرج
شدة سوادهما وشدة بياضهما النجل سعتهما الكحل سواد جفونهما
من غير كحل الحور اتساع سوادهما الشنب رقة الاسنان واستواؤها
وحسنهما الرتل حسن تنضيدها واتساقها التفليج تفرج ما بينهما
الشتت تفرقها في غير تباعد في استواء وحسن يقال منه ثغر شتيت
الاشر تحديد في أطراف الثنايا يدل على الحداثة الظلم الماء الذى
يجرى على الاسنان من البريق الجيد طول العنق التلع اشرافها
واذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهى خود فاذا كانت جميلة الوجه
حسنة المعرى فهى بهكنة فاذا كانت دقيقة المحاسن فهى مملودة
فاذا كانت حسنة القدلينة العصب فهى خرعبة واذا كانت لم يركب
بعض لحمها بعضا فهى مبتلة فاذا كانت لطيفة البطن فهى هيفاء
وخمصانة فاذا كانت لطيفة الكشحين فهى هضيم فاذا كانت لطيفة
الخصر مع امتداد القامة فهى ممشوقة فاذا كانت طويلة العنق
في اعتدال وحسن فهى عطبول فاذا كانت عظيمة العجيزة فهى رداح
فاذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهى خدلجة فاذا كانت
سمينة ترتج من سمنها فهى مرمادة فاذا كانت ترعد من الرطوبة
والغضاضة فهى برهرهة فاذا كانت كأن الماء يجرى في وجهها فهى
رقراقة فاذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهى بضة فاذا عرفت
في وجهها نضرة النعيم فهى نظرة فاذا كان فيها فتور عند القيام لسمنها
فهى اناة ووهنانة فاذا كانت طيبة الريح فهى بهنانة فاذا كانت
عظيمة الخلق مع الجمال فهى عرهرة فاذا كانت ناعمة جميلة فهى
عبقرة فاذا كانت متثنية اللين وتعمد فهى غيداء وغادة فاذا كانت
طيبة الفم فهى رشوف فاذا كانت طيبة ريح اليد فهى انوف فاذا

كانت طيبة الخلوة فهى رصوف فاذا كانت لعوبا ضحوكا فهى شموع فاذا كانت تامة الشعر فهى فرعاء فاذا لم يكن لمرفقها حجم من سمنها فهى درماء فاذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها فهى لفاء فاذا كانت حيية فهى خفرة وخريدة فاذا كانت منخفضة الصوت فهى رخيمة فاذا كانت محببة لزوجها متحببة اليه فهى عروب فادا كانت نفورا من الريبة فهى نوار فاذا كانت تجتنب الاقذار فهى قذور فاذا كانت عفيفة فهى حصان واذا كانت عاملة الكفين فهى صناع فاذا كانت كثيرة الولد فهى بنون فاذا كانت قليلة الولادة فهى نزور فاذا كانت تلد الذكور فهى مذكار فاذا كانت تلد الاناث فهى مئناث فاذا كانت تلد مرة ذكرا ومرة أنثى فهى* مهاب فاذا كانت لا يعيش لها ولد فهى مقلات فاذا كانت تلد النجباء فهى منجاب فاذا كانت تلد الحمقاء فهى محمقة فاذا كانت يغشى عليها عند الجماع فهى ربوح والمكورة المطوية الخلق واللدنة اللينة الناعمة والمقصد التى لا يراها أحد الا أعجبته والخبرنجة الجارية الحسنة الخلق فى استواء والمسبطرة الجسيمة والعجزاء العظيمة العجيزة والرعبوبة الرطبة والرجراجة الدقيقة الجلد والرتكة الكثيرة اللحم والطفلة الناعمة والرود المتثنية اللينة والاملود الناعمة ومثلها الخرع مأخوذ من نبت الخروع وهو نبت لين والبراقة البيضاء الثغر والدهمة السهلة والعاتق التى لم تتزوج والبلهاء الكريمة والمغفلة عن الشر العزيزة والعيطموس الفطنة الحسناء والسهلبة الخفيفة اللحم والمجدولة الممشوقة والسرعوفة الناعمة الطويلة والغيصاء والعفاء الطويلة العنق والتهنانة أيضا الضحاكة المتهللة والغيلم الحسناء والخليق الحسنة الخلق وقال الفراء هى أحسن الناس حيث نظر ناظر أى هى أحسن الناس وجها وقال أبو عمرو يقال للمرأة اذا كانت حسناء كأنها فرس شرهاء والشرهاء الحديدة النفس وامرأة حسنة المعارف ومعارفها وجهها والمحرية

الحسنة

الحسنة المشية فى خيلاء والشموس التى لا تطمع الرجال فى نفسها وهى الذعور وامرأة ظمياء اذا كانت سمراء أوشفة ظمياء كذلك ويقال انها الحسنة العطل أى الجسم ويقال غبقة أى التى يشا كلها كل الناس (ونذكر) اختلافات الناس فى الثدى والعجز والمجدولة من النساء والضخمة الطويلة والغضيضة واختلاف شهواتهم فى الممسوحة والمفلكة والكاعب والناهد والمنكسرة ومن استحسن الثدى الضخم الذى يملأ الكفين ومن ذم ذلك وممن وصف الشحم عبد بنى الحسحاس حيث يقول

توسدنى كفا وترفع معصما * علىّ وتحنو رجلها من ورائيا

أميل بها ميل النزيف وأتقى * بها القطر والشفان من عن شماليا

فشحم لم يتخذ هاهد فاتستر عنه الريح والقطر الا وهى فى غاية الضخم (وقال أبو عبيدة) دخل مالك الاشتر على على بن أبى طالب رضى الله عنه فى صبحة بنائه على بعض نسائه فقال كيف وجد أمير المؤمنين أهله قال كالخير من امرأة لولا انها خناء قباء قال وهل يريد الرجال من النساء الا ذلك يا أمير المؤمنين قال كلا حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع فهذا يدل على العجب بالضخم والشحم وأكثر البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الامر يقدمون المجدولة فهى تكون فى منزلة بين السمينة والمشوفة مع جودة القد وحسن الخرط ولا بد ان تكون كاسية العظام وانما يريدون بقولهم مجدولة جدولة العصب وقلة الاسترخاء وان تكون سليمة من الزوائد والفضول لذلك قالوا خمصانة وسيفانة وكأنها جدل عنان وغصن بان وقضيب خيزران والتثنى فى مشية المرأة أحسن ما فيها ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة ووصفوا المجدولة فقالوا أعلاها قضيب وأسفلها كثيب وقال بعض الاعراب

لها قسمة من خوط بان ومن نقى * ومن رشا الغزلان جيد ٢ ومذرف

يكاد كليل الطرف يكله خدها * اذا ما بدت من خدرها حين تطرف

---

٢ قوله ومذرف يعنى به العين اه من هامش

﴿وقال آخر﴾

ومجدولة جدل العنان اذا مشت * تنوء بخصريها اثقال الروادف

﴿وقال آخر﴾

ومجدولة اما مجال وشاحها * فغصن وأما ردفها فكثيب
لها القمر السارى نصيب وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب

﴿وقال أبو نواس وقد أحسن ماشاء﴾

أحلت من قلبي هواك محلة * ماحلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التى فى مثلها * يتحير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والطويلة فوقها * دون السمين ودونها المهزول

﴿وأما قول الاعشى حيث يقول﴾

غراء فرعاء مصقول عوارضها * تمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوجل
كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقد وصفها كما ترى بالضخم ولكنه يذكر افراطا وقال الاحوص

من المدمجات اللحم جدلا كأنها * عنان صناع انعمت ان تجودا

(قال أبو عثمان الجاحظ) كان أبو معمر بن هلال يقول عذرت الرجل الطويل الايرحتى يتمناها ضخمة ولكن ما عذر الصغير الاير فى ذلك وفى اختلافهم فى الثدى أنشد للمرار بن سعد

ضلبة الخد طويل جيدها * ضخمة الثدى ولما ينكسر

﴿وقال النابغة فى النهود﴾

يخططن بالعيدان فى كل مقعد * ويخبأن رمان الثدى النواهد

﴿وقال آخر أيضا﴾

وثديين كالرمانتين تجنه * غداها السرى فهى ذات غمار

﴿وأنشد لمسلم بن الوليد﴾

فاقسمت أنسى الداعيات الى الصبى * وقد فجأتها العين والستر واقع
فغطت بايديها ثمار صدورها * كايدى الاسارى أثقلتها الجوامع

وذم اعرابى امرأة فقال والله مابطنها بوالد ولاشعرها بوارد ولاثديها بناهد ولافوها ببارد وكتب الحجاج بن يوسف الى الحكم بن أيوب قال اخطب على عبد الملك امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها أمة لبعلها فكتب اليه أصبتها وهى خولة بنت مسمع لولا عظم ثدييها فكتب اليه الحجاج لا يحسن بدن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الضجيع وتروى الرضيع

﴿وقال آخر يذم عظم الثدى﴾

لعمرى لبيض يحتللن بقفرة * لطائف ثدى الصدر غيد السوالف
أحب الينا من ضخام بطونها * لا آباطها تحت الثدى تعاطف

وقال آخر فى الممسوحة التى لم يبد بصدرها شئ

وعلقت ليلى وهى بكر خريدة * ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

﴿وقال نصيب﴾

ولولا ان يقال صبا نصيب * لقلت بنفسى النشو الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها * اذا ظلمت فليس لها انتصار
اذا ما الزل ضاعفن الحشايا * كفاها ان يلاث بها الازار

﴿وقال ذو الرمة﴾

بعيدات مهوى كل قرط عقدته * لطاف الحشا تحت الثدى القوالك

﴿وذكر آخر ابتداء النهود فقال﴾

نظرت اليها نظرة وهى عاتق * على حين شبت واستبان نهودها

وليس فى الحيوان شئ واسع الصدر غير الانسان ولافى جميع الحيوان أنثى فى صدرها ثدى الا المرأة والفيلة وكذلك الرجل والعرب تمدح الرجال والنساء بطول الاعناق قال الشاعر

ومن كل شئ قد قضيت لباتتى * سوى ضخم اعجاز ثقال الروادف
وهصرى اعنا قا تاين وتنثنى * كاالان خيطان الاراك الصعائف

﴿وقيل لابراهيم بن النظام﴾ أى مقادير الثدى أحمد قال وجدت الناس يختلفون فى الشهوات وسمعت الله تبارك وتعالى حين وصف حور العين جعلهن كواعب أترابا ولم يقل فوالك ولا نواهد وقالت العرب يسار الكواعب ولم تقل يسار النواهد ولا يسار الفوالك ولم أرهم يختلفون فى مدح عظيم الركب كما اختلفوا فى مقادير الثدى فى طول الاعناق يقول الشمردل

ويشبهون ملوكا فى مهابتهم * وطول أنصبة الاعناق والامم

﴿وقال آخر﴾

طوال أنصبة الاعناق لم يجدوا * ريح الاماء اذا راحت باذفار

وهو حسن مالم يطل جدا فاذا أفرط كان عيبا كما عيب بذلك واصل بن عطاء رئيس المعتزلة فسمى عنق نعامة وعيب بذلك جعفر بن يحيى البرمكى وكذلك قال فيه الحسن بن هانئ

ذاك الوزير الذى طالت علاوته * كانه ناضر فى السيف بالطول

وقد زعموا انه أول من اتخذ هذه الاطواق العراض فاستحسنها الناس بعده فاتخذوها وفى صفة الاعكان يقول يزيد بن معاوية

لها عكن بيض كان غضونها * اذا اشف عنها السابرى فداح

﴿وقال أبو الطيب المتنبى﴾

يضمها المسك ضم المستهام بها * حتى يصير على الاعكان اعكانا

﴿وقال آخر أيضا﴾

غراء واضحة اقراب خرعبة * طوع العناق فلا بكر ولا نصف

﴿وقال النابغة الذبيانى﴾

والبطن ذو عكن لطيف طيه * والنحر ينفجه بثدى مقعد

محطوطة المتنين غير مفاضة * ريا الروادف بضة المتجرد

واذا لمست لمست اجثم جاثما * متحيزا بمكانه ملء اليد

واذا نزعت نزعت عن مستحصف * نزع الحزور بالرشا المحصد

وانشد

وأنشد لاعرابي أيضا

لما رأت ان الرحيل قد حان * قامت تهادى في رقيق الكتان
بواضح الوجه قليل الخيلان * وعكن مثل متون الغزلان

﴿وقال الفرزدق﴾

اذا بطحت فوق الاثافي رفعتها * بثديين في صدر عريض وكعثب

فزعم انها اذا بطحت على وجهها لم تمس الارض بشيء من سائر جسدها الا نهود ثديها وعظم ركبها فصارت لبدتها كالاثافي القدر قال عبد بني الحسحاس

من كل بيضاء لها كعثب * مثل سنام البكرة المائل

وحلف ابن مطيع الليثي الشاعر ان جاريته خردانه كانت تستلقي على ظهرها فتشخص كتفاها ومنكباها حتى لقد كان يتدحرج الرمان والاترج من تحت خصريها قالوا كانت الزباء بنت عبد الله تصب جرة الماء على رأسها فلا يصيب فخذيها البدء بجيزتها قال الشاعر

نفج الجفينة لا ترى لكعوبها * حجما وليس لساقها ظنبوب
عظمت روادفها وسهل وجهها * والوالدان نجيبة ونجيب

ومن مليح ما قيل في هذا القول قول الاعرابي

أبت الروادف والثدى لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا
واذا الرياح مع العشي تناوحت * نبهن حاسده وهجن غيورا

والعرب تمدح الملوك بسعة العيون كما يصفون ذلك من النساء ويستحسنونه قال ذو الرمة

ومحتلق للملك أبيض قد غمر * اشم الج العين كالقمر البدر

لما أنشد بشار بن برد قول الشاعر

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا لمسوها بالاكف تلين

ضحك بشار من قوله عصا خيزرانه وقال لو زعم انها عصا زندا وعصا ند لهجنها وكان ذلك خطأ بعد ان جعلها عصا فهلا قال كما قلت

اذا قامت لسبحتها انثنت * كأن عظامها من خيزران

وكانت ميمونة عند هشام بن عبد الملك خلف عليها بعد عبد العزيز فقال لو أن رجلا ابتلع ميمونة ما اعترض فى حلقه منها شئ للينها وقال بشار

اذا مشت نحو بيت جارتها * قلت من الرمل خلفها حقف

يرتج من مرطها مؤزرها * وفوقه غصن بانة قصف

وقد قيل فى الضخمة

قليلة لحم الناظرين يزينها * شباب ومخفوض من العيش بارد

أرادت لتنتاش الرواق فلم تقم * اليه ولكن طأطأته الولائد

وقال آخر أيضا

ضوء برق بدا لعينيك أم شبـ * ـت بذى الاثل من سلامة نار

أوقدتها بالمسك والعنبر اللد * ن فتاة يضيق عنها الازار

وأنشد أيضا

وتبدى على المتن من شعرها * عناقيد كرم تدلين سودا

ويجرى السواك على بارد * لذيذ من الدر يبدى نضيدا

وما زانها العقد لكنها * تزين بالنحر منها العقودا

كشمس الضحى بين اترابها * توافين يوما ليشهدن عيدا

فكم من قتيل بتلك العيون * وكم من قتيل تولى عميدا

فان يك عنى قسا قلبها * فلم يجعل الله قلبى حديدا

أعيذك بالله ان تشمتى * بنا واشيا أو تطيعى حسودا

(وقال جران العود) وقد تزوج امرأة فلقى منها برحا وكانت حسنة الشعر فقال

الا لا يغرن امرأ نوفلية * على الرأس منها أو ترائب وضح

ولا فاحم يسقى الدهان كأنه * أساود يزهاها بعينيك أبطح

النوفلية مشط وأنشد لآخر

لا تنه قلبك ان يتوق الى الحما * ان القلوب الى سعاد تتوق

فرعاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو جثل مونق
فكأنه ليل عليها مغدف * وكأنها فيه نهار مشرق

﴿وأنشد لآخر﴾

مقدودة ما ان لها مثل * لى عندها العبرات والخبل
فلشعرها من شعرها زجل * ولعينها من عينها كحل
ان شئت قلت اذا هى انصرفت * بين الروادف والحشا فصل

﴿وأنشد لآخر وذكر طول العنق﴾

وأعجبني منها غداة لقيتها * تبلبل أرداف لها ومحاجر
وجيد كأملود الرخامى رعاية * بنهله صبت عليه الغدائر

وقد وصفوا الافواه والريق والشفاه قال بعضهم

ومقبل عذب المذاق كأنه * برد تحدر من غمام ماطر
هن الدواء الدائنا وشفاؤنا * من كل داء باطن أو ظاهر

﴿وقال ذو الرمة﴾

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثاة وفى انيابها اشنب

والعرب يزعمون ان أطيب الافواه أفواه الظباء كما ان أبعارها أطيب رائحة من سائر الابعار ويزعمون ان ليس فى السباع أطيب أفواها من الكلاب ولا فى الناس أطيب أفواها من الزنج ويزعمون ان علة ذلك كثرة الريق لان علة الخلوف جفوف الريق والبخر يحدثه الكبر وقد اعترى أشرافا من الناس (قال) سار رأبو الاسود الدؤلى عبيد الله بن زياد فلما أدنى فاه من أنف عبيد الله نخر أنفه عبيد الله فجذب أبو الاسود يده فنحاها وقال اذك والله لن تسود حتى تصبر لسرار الشيوخ البخر فعجب الناس من جلده ومراسه والافواه الموصوفة بالنتن أفواه الاسود وأفواه الصقور (والشعوبية) وغيرهم ينهون عن السواك وقالوا انما يعترى الخلوف من يستاك والمره من يكتحل والشعث من يدهن وزعموا ان السواك يقلقل الاسنان ويأكل ما عليها من اللحم اعنى اللثة ويذهب

العمور التى بينهاو برخيها وقال حسين بن مطير

بمرتجة الارداف هيف خصورها * عذاب ثناياها عجاف قيودها

يريدانها صلاب عجاف غير وارمة ولا مسترخية والسواك يوهنها ويزيلها عن أماكنها وزعموا ان السواك يجلب ماء الوجه فيبقى على الايام نضرة اللون وحمرة الوجنات كما يصنع طول رضاع الطفل فى لبة المرأة وفى لون وجهها فاذا تحلب الماء المستكن فى الغلاصم والافواه أعقب ذلك الافواه جفوفا فاذا جفت لعدم الريق أورثها خلوفا فقال من رد على هؤلاء قد علمنا ان من أعظم الامم التى عليها مدار الامور فى العقل والعلم والرضا قد اجتمعوا على السواك والخضاب فلو كان السواك يورث البخر لم تكن هاتان الامتان مع ما فيهما من بعد الغور وشدة الغزل بالنساء والتقرب الى قلوبهن والاستهتار بهن ليجهل هذا القدر من العيب الفاحش فمن أحب ان يعرف افراط العرب فى الغزل والصبابة بالنساء فليقرأ أشعارهم وأحاديثهم الاسلامية وليقرأ كتب الهند فى الباه ولو تتبعت أشعارهم فى استعمال النساء للسواك لطال به الكتاب

وعن عمرو بن دينار قال سمعت الحسن بن على عليهما السلام يقول لذريح بن سنة حل لك ان فرقت بين قيس ولبنى اما انى سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما أبالى مشيت الى الرجل بالسيف أو فرقت بينه وبين امرأته *قال الزبير بن بكار* دخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت أقسمت عليك بأى شئ وعدت كثيرا حيث يقول

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

قالت لها وعدته قبلة فطالته سنة فلما ألح فى التقاضى هجرته فضمنى واياه طريق بعد حين فاستحييت منه فقلت حياك الله يا جمل ولم أحيه فقال

حيتك عزة بعد الهجر وانصرفت * فحى ويحك من حياك يا جمل

ليت التحية كانت لى فاجعلها * مكان يا جمل حياك يا رجل

وهو على تقاضيه الى اليوم قالت أقسمت عليك الا قضيته اياها واثمه

في عنق ﴿أبو عبيدة﴾ قال كان بأرض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهويها ابن عم لها فبذل لها أربعة آلاف درهم فأبى أبوها أن يزوجها منه وأجدبت البادية فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم فشكا اليه ما يلقى فقال له قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف درهم فاعطنا اياها فانت أحب الينا القرابتك قال له أجلني شهرا فاجله ولم يكن مع الفتى الا ناقة فركبها ومضى الى عبد الملك بن مروان فطلب الاذن عليه فلم يؤذن له فقال انى رسول فلان عامل أمير المؤمنين على الحجاز فادخل عليه من ساعته قال معك كتاب من فلان قال لا قال فرسالة فانشأ يقول

ماذا يقول أمير المؤمنين لمن * أدلى اليك بلا قربى ولا سبب
صدله عقله من حب جارية * موصوفة بكمال الحسن والادب
خطبتها اذ رأيت الناس قد لهجوا * بذكرها والهوى يدعو الى العطب
فقلت لى حسب زاك ولى شرف * قالوا الدراهم خير من ذوى الحسب
انا نريد الوفاء منك أربعة * ولست أملك غير الحلس والقتب
فامنن على أمير المؤمنين بها * واجمع بها شمل هذا البائس العرب
فما وراءك بعد الله مطلب * أنت الرجاء وأقصى غاية الطلب

فضحك عبد الملك وأمر له بأربعة آلاف درهم وقال هذا صداق أهلك وزاده أربعة آلاف أخرى وقال له أولم بهذه وأنفق عليها منها فقبضها ومضى فتزوج بالجارية ﴿وكان﴾ اسحق بن سليمان بن على شابا ظريفا محبا للشعر فخرج ذات يوم وأبوه يلى البصرة لابى جعفر المنصور متنزها الى ناحية البادية فاتى اعرابيا فصيحا الا انه شاحب اللون مصفر ظاهر النحول فاستنشده فقضى عنه فقال له ما بالك فوالله انك لفصيح قال له اما ترى الجبلين قال قلت بلى قال فى ظلالهما ما شغلنى عن انشادك قلت وماذاك قلت ابنة عم لى قد تيمتنى وأذهلت عقلى وتالله انه ليأتى على لا أدرى أفى السماء أنا أم فى الارض قال قلت وما يمنعك منه قال قلة ذات يدى قلت وكم مهرها قال خمسون ناقة قال قلت فنزوجنك اذا

دفعتها قال نعم قال فقلت له أنشدني مما قلت فيها فانشدني

سعى العلم الفرد الذي في ظلاله * غزالان مكحولان يرتعيان
أرعتهما صيدا فلم أستطعهما * وختلا ففاتاني وقد ختلاني

قال فقلت له يا اعرابي لقد قتلتني بقتلك فنفيت من العباس ان لم أقم بامرك فرجع الى البصرة فاخذ جماعة من أهله وما احتاج اليه وحمل معه الاعرابي وسار الى الجارية فخطبها الى الفتى فزوجه وساق اليه خمسين ناقة وأقام عندهم ثلاثة أيام نحر فيها ثلاثين جزورا ووهب للاعرابي وللجارية مثل ذلك وانصرف الى البصرة (قال نفطويه) لما فرغ المهدي من بناء قصره ركب للنظر اليه فدخله بغتة وأخرج من هنالك من الناس فبقي رجلان خفيان عن أبصار الاعوان فرأى المهدي أحدهما وهو دهش ما يفعل فقال له من أنت قال انا أنا قال ويلك قال لا أدري قال ألك حاجة قال لا قال أخرجوه أخرج الله نفسه فدفع في قفاه فلما خرج قال لبعض الغلمان اتبعه من حيث لا يعلم حتى يصل الى منزله فاسئل عن صنعته فاني اخاله حائكا فخرج الغلام فقفوه ثم أتى الآخر فاستنطقه فاجابه بقلب جري ولسان طلق قال له من أنت قال له رجل من أبناء رجال دعوتك قال فما جاء بك الى ههنا قال جئت لانظر الى هذا البناء الحسن واتمتع بالنظر اليه وأكثر الدعاء لامير المؤمنين بطول البقاء ودوام النعم وهلاك الاعداء قال له أفلك حاجة قال نعم خطبت ابنة عمي فردني أبوها وقال لا مال لك واني لها عاشق وبها وامق قال قد أمرت لك بخمسين ألف درهم قال جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قد وصلت فاجزلت الصلة ومننت فاعظمت المنة فجعل الله باقي عمرك أكثر من ماضيه وآخر أيامك خيرا من أولها وأمتعك بما به أنعم عليك وأمتع رعيتك بك فامر ان تعجل صلته ووجه بغلام آخر معه قال سل عن مهنته فاني اخاله كاتبا فرجع الرسولان جميعا فقال الرسول الاول وجدت الرجل حائكا ولم يرجع اليه قلبه ولا ثاب اليه نفسه وقال

نحو وجدت الرجل كاتبا فقال المهدي أنا ابن المنصور لم يخف عني
خطبة الكاتب والحائك (وقال أحمد بن أبي خيثمة) أخبرتني مولاة
ت لآل جعفر بن أبي جعفر المنصور قالت علق عيسى بن جعفر
ية لام ولده فمنعته اياها غيرة عليه وتبعتها نفسه فدست جارية لعيسى
ل لها برير الى مولاتها في ان تبيعها منه وارغبتها فباعتها منها فأخذتها
بر غالية صنعتها وكانت لبرير من عيسى ليلة فوجه اليها بخلعة وبقدح
ية تضمخ به شعرها فلما كانت ليلتها ألبست الجارية الخلعة وضمخت
ها ووجهت بها اليه فلما رآها سألها عن حالها فأخبرته بالخبر وانها
رت هوى نفسه على هوى نفسها فسر بذلك ودعا ببرير فأعتقها وتزوج
ومهرها ضياعا بالكوفة لها قدر وقالت برير ان من شكر الله على
وهب لي من رأي أمير المؤمنين ان أجعل ما أعطاني من هذه الضياع
ية لله عز وجل تجري للأدبير ولي أجرها فأوقفتها على أهل بيت من
نصار منهم ام بن معاذ فلم يزل ذلك يجري عليهم (وقال ابراهيم) بن
مهدي حججت مع الرشيد فلما كنا بالمدينة خرجت الى العقيق أسير على
ابتي وليس معي غلام فوقفت على بئر عروة وعليها جارية سوداء وفي
يدها دلو عليه قربة لها فقلت يا هذه أسقيني فنظرت الي وقالت أنا
مشغولة عنك فقرعت قربوسي بمقرعتي موقعا على القربوس وغنيت
ما سمعت ذلك مني ملأت دلوها وبادرت به الي وقالت اشرب يا عم
سررت فقال بالله يا عم أين أهلك أحمل اليهم هذه القربة فقلت بين
يدي فمضت معي حتى أتت المضرب فلما رأت الولدان والخدم زعرت
قلت لها لا بأس عليك وأخذت الماء وأمرت من وصله فقيل لي
لغلمان قد جاء رسول أمير المؤمنين مرارا فمضيت اليه فقال لي أين كنت
فأخبرته بخبر الجارية فأمر بطلبها فأتي بها فأمر بابتياعها من مولاها
وأعتقها وقال لها من تؤذينه ويؤذيك وتحبينه ويحبك قالت نعم عبد
لآل فلان فأمر بابتياعه وأعتقه ثم زوجها اياه وأمر لهم بمال (ح

الرشيد) سنة احدى عشر من خلافته فلما نزل بالكوفة بعد قفوله م
دعا اسمعيل بن صبيح فقال انى أردت الليلة ان أطوف فى محال الك
وقبائلها فاقة أهب لذلك قلت نعم فلما مضى ثلث الليل قام وقمت معه ور
حمارا وركبت أنا آخر ومعى خادم ومعه خادم من خاصة خدمه فلم
نطوف المحال والقبائل حتى انتهينا الى النخع فسمعنا كلاما فقال الرش
لاحد الخادمين ادن من الباب وتعرف ما هذا الكلام فتطلع
موضع فى الباب فرأى نسوة يغزلن حول مصباح وجارية منهن تنش
شعرا وترددأبياته وتتبع كل بيت برنة وأنة وتبدى زفرة وتفيض ع
والنسوان اللواتى معها يبكين لبكائها فحفظ الخادم من شعرها ه
الابيات

هل أرى وجه حبيب شفنى * بعد فقدانيه افراط الجزع
قد برى شوقى اليه أعظمى * وبلى قلبى هواه وفزع
ليت دهرا مر والقلب به * جذل والعيش حلو قد رجع
وعفت آثاره منه فيا * ليت شعرى ما به الدهر صنع
قد تمسكت على وجدى به * بجميل الصبر لو كان نفع

فقال للخادمين اعرفا الموضع الى غد ورجعنا الى البصرة فلما طلع الف
وفرغ من صلاته وتسبيحه قال للخادمين امضيا الى الدار فان كان ف
رجل من وجوه الحى فجيا به حتى أسئله عما أريده فسار الخادم
الى الدار فلم يجدا فيها رجلا فدخلا الى مسجد الحى فقالا لا هله أ
المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم أحببت ان يجيئنى منكم أرب
لاسئلهم عن أمر قالوا سمعا وطاعة وقاموا معهما فدخلوا على الرش
فقربهم وأدناهم وقال لهم انى طفت البارحة فى بلدكم عناية م
بامور كم وتفقد الاحوالكم فسمعت فى دار من دياركم امرأة تنش
شعرا وتبكى وقد خفت أن تكون مغيبة وان نزاع النفس أهون
نزاع الشوق وقطع الاوصال أهون من قطع الوصال وقد أحب

..رف خبرها منكم وآخذ حقيقة أمرها عنكم قالوا يا أمير المؤمنين
..ه امرأة يقال لها البارعة بنت عوف بن سهم كان أبوها زوجها ابن
لها يقال له سليمان بن همام على عشرة آلاف درهم فهلك أبواهما
قبل أن يجتمعا فاكتتب زوجها مع عامل الى اليمن لقلة ذات يده
منذ خمس سنين فحزنت عليه وطال شوقها اليه وقد قالت فيه
..او تستريح الى ذكره فأمر الرشيد من ساعته
كتب ..ه باليمن فى حمل سليمان بن همام ..ى البريد الى حضرته
..دينة السلام بغداد فما مضت أيام بعد وصول الرشيد حتى دخل
..اسمعيل بن صبيح فقال يا أمير المؤمنين قد ورد كتاب صاحب اليمن
البريد مع النخعى الذى أمرت بحمله اليك قال فأمر بحمله وادخاله
..ه فنظر الى رجل معتدل القامة ظاهر الوسامة ذرب اللسان
..ن البيان فقال أنت سليمان بن همام قال نعم يا أمير المؤمنين قال له
..ص على خبرك فقص عليه خبره فوجده موافقا لما اخبره به الاربعة
النفر فأمر له بعشرة آلاف درهم يولم بها وعشرة آلاف
أخرى يدخرها فأخذ جميع ذلك من يومه ورحل الى
الكوفة فدخل باهله وكان الرشيد يتعاهده
بصلته وبره * تجز كتاب النساء بعون
الله واحسانه والحمد لله وحده
والصلاة والسلام
على محمد نبيه
وآله وسلم
آمين
م

إن أسنى ما حليت به صدور الطروس حمد من خلق الانسان من نفس واحدة وخلق منها زوجها لتسكن اليها النفوس والصلاة والسلام على من أحبه الله واجتباه وأنزل عليه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وعلى آله وصحبه الباذلين نفوسهم في حبه ﴿أما بعد﴾ فقد تم طبع كتاب أخبار النساء المشتمل على نوادر الاحباء ولطائف الادباء وناهيك به من روض أدب حقيق ان يتنقل اليه الظرفاء من كل حدب وان تسرح نحوه الانظار لما أحرزه من شوارد النوادر وبدائع الاخبار جدير ان يتخذ نديم مسامره وجليس مؤانسة محاضره فكم أبرز بزة فكاهات ونظم عقود وقائع مستحسنات باسلوب يسلب الهموم ويزيل عن القلوب الغموم وكان طبعه الرائق ووضعه الموثق الشائق بمطبعة من راق طبعه وصفا حضرة محمد أفندي مصطفى لازالت مبتسمة الثغور ببدائع المنظوم والمنثور
وأشرق بدر التمام وتضوع مسك الختام في
أواخر شهر رمضان الكريم سنة ١٣٠٧ من
هجرة المصطفى عليه الصلاة
والتسليم وعلى تابعيه ما حن
محب الى محبوب
وماهبت شمال
أو جنوب
آمين

(تنبيه)

جاء في طرة هذا الكتاب انه المعروف ابن قيم الجوزي وهو خطأ والصواب انه المعروف بابن قيم الجوزية وأما ما في الكتاب من الغلط الواقع في الطبع فقليل لا يشكل على الفطن ولذلك لم نتكلف تصويبه